رواية

(مَلاذُك الآمن)

محمد موسى

الكتاب: ملاذك الآمن

المؤلف : محمد موسى

رقم الإيداع: ٣١١٦٠ \ ٢٠٢١

الترقيم الدولي: ١ - ١٠ - ٦٩٣٣- ٩٧٧- ٩٧٨

***

دار الميدان للنشر و التوزيع

جمهورية مصر العربية

هاتف ٠١٢١٠٣٤٣٥٩٣/٠٥٥٢٣١١٤٠٨

Website: www.daralmidan.com

E- mail: almidan@daralmidan.com

FB: fb.com/dar.almidan

إهــداء إلـــــى

ذلك المريض الساكن بعقلِك، أرجوك، أكرم ضيافته فهو يعلم كُلَّ خباياك!

المقدمة:

أخبرني، كم عدد المرات التي دَمَعت فيها عيناك من الفرح مقارنة بعدد المرات التي أجهشت فيها بالبكاء لأسباب لا يعلمها أحد سواك؟ هل عانيت الانكسار من قبل؟

حسنًا، أنت بحاجة إلى المساعدة يا صديقي، دعني أخبرك أن أفضل شيء على الإطلاق هو السلام الداخلي والاستقرار النفسي؛ لذا عليك الجهاد للوصول إلى ذلك الشعور، فهذا هو قمة الجبل الروحي، وهناك على قمته، ستجد ملاذك الآمن، فعليك أن تصعد إليه بقوة، ولا تجعل شيئًا يستوق فك أبدًا، لا علاقة حب فاشلة، ولا صديق خائن، ولا وفاة أحد المُقربين، وهذا أول شيء تتعلمه في رحلة الصعود، وهو ألا تتفاجئ أبدًا، فكُل شيء في هذه الحياة نسبي مُتغير وخاصةً البشر.

تنويـــه

(جميع أحداث هذه الرواية من وحي الخيال ولا علاقة لها بالواقع)

العـــائلـــة

في السابع عشر من ديسمبر، في تمام الحادية عشرة مساءَ، يسير (هاني) ببطء عائدًا إلى منزله، ممسكًا بيمينه كف الطفل الصغير الذي بجانبه، (هاني) لديه من العُمر خمسة وأربعون عامًا، وجسده أقرب إلى النحافة، ولكنه مُناسب لوزنه الخفيف، بشرته بيضاء ولحيته كثيفة للغاية مثل شعر رأسه، أما الطفل الصغير فهو تقريبًا لم يتجاوز عشرة أعوام، وبشرته داكنة وأصلع الرأس، يرتدي ثيابًا خفيفة مُتسخة للغاية وبها عدة رُقع، ويسير حافي القدمين.

يصعدا معًا درجات السلم ليدخلا الشقة حيث الدفء والصمت..

ـ "ما هو اسمك؟"

قالها (هاني) سائلًا الطفل، فيَجيب الأخير مُرتجفًا أثر البرودة القارسة:

ـ "(أحمد)".

= "أين والديك يا (أحمد)؟"

ـ "تُوفى والدي منذ مدة وتزوجت والدتي بعده، وأنا هربت".

= "ولماذا هربت؟"

ـ "عمي (سيد)، شقيق والدي وزوج أمي، لا يكُف عن ضربي بالعصا صباحًا ومساءَ، فهربت دون أن يراني أحد".

يقترب منه (هاني) ليحتضنه، سائلًا:

ـ "هل تشعر بالبرد يا (أحمد)؟"

= "أشعر بالجوع أكثر".

ـ "حسنًا يا صغيري سأطعمك، سأقوم بتدفئتك، أنت لم تُخلق للعيش

في هذه الدنيا القبيحة يا بُني، يجب دفنُك في الحال!"

لم يفهم الصغير أي شيء، لكنه بدأ يشعر بالخوف وهو يرى (هاني) يخلع ثيابه بالكامل، يعود الصغير للخلف خُطوتين، فينقضّ عليه المُغتصب مُمسكًا عُنقه بقوة مُقطعًا ثيابه دون شفقة أو رحمة، يطرحه أرضًا، ويكبل يديه بيمناه فقط، يحاول الصغير المقاومة وهو يرتجف خوفًا، ويتوسل باكيًا:

ـ "اتركني، اتركني!".

= "استمتع معي يا (أحمد)، أتشعر بروحك تغادر جسدك المتعفن هذا؟ أنا أشعر بها وأنا أسحبها الآن، هذا هو الخلود، هذا هو ...".

لم يُكمل (هاني) جملته، وسَمِع صوت اقتحام أحدهم للشقة، فيقوم مُسرعًا ليرى ماذا حدث! فيجد نفسه مُحاصرًا من قِبل رجال الشُرطة و على رأسهم المُقدم (يحيى)، يتحدث الأخير سائلًا الصغير:

ـ "هل أصابك بسوء؟"

يومئ الصغير برأسه نعم، وهو يرتجف خوفًا وبردًا وجوعًا، فيتقدم إليه المُقدم (يحيى)، ويحمله محاولًا طمأنته، في حين رجال الشُرطة يطوقون (هاني) الجاثي على ركبتيه، رافعًا يديه فوق رأسه مستسلمًا.

******

الحاج (إسماعيل البدوي) لديه من العُمر سبعون عامًا، يجلس دائمًا في شقته بمفرده أمام التلفاز، بلا شريك ولا رفيق، وأصعب شيء يمرّ عليه في يومه الطويل حين يشعر بالرغبة في دخول المرحاض لقضاء حاجته، وهو لا يقوى على الحركة إلا بصعوبة، الحاج (إسماعيل) جاء من

صعيد مصر إلى القاهرة منذ خمسة وأربعين عامًا بحثًا عن العمل والاستقرار، في البداية عَملَ في إحدى الورش المختصة في صيانة السيارات، وسرعان ما أثبت كفاءته وبعد مرور عامين، افتتح ورشته الخاصة، ثُم تقدم للزواج من إحدى الفتيات، وتم الزواج سريعًا، وبعد مرور خمسة أعوام، افتتح معرضه لتجارة السيارات، وقد أنجبت له زوجته ولدين وفتاة، (عادل) و(ياسر) و(فريدة) على الترتيب، وفي أثناء ولادتها للطفل الرابع وهو (هاني) تُوفيت، حاول إسماعيل الصمود، وتربية أبنائه بمفرده، لكن السيطرة على أربعة أطفال أكبرهم لم يبلغ ستة أعوام هو أمر في غاية الصعوبة، فاضطر إلى الزواج مجددًا، وبعد مرور عامين على الزواج، وجد زوجته مقتولة في غرفة نومها! ولم يعرف من الفاعل حتى الآن، وأقسم على عدم الزواج مجددًا.

يجلس الحاج (إسماعيل) الآن على مقعده في وسط الصالون، بانتظار أبنائه، إذ إنه دعاهم جميعًا إلى الحضور، يدخل (ياسر) صاحب الخمسين عامًا، قائلًا:

ـ "أبي، هل أنت بخير؟"

= "نعم، يا عزيزي أنا بخير".

قالها الحاج بصوته الغليظ فاطمأن (ياسر)، وجلس على المقعد المجاور له، (ياسر) لديه طلة مهيبة، فهو فارع الطول وعريض المنكبين، وجهه عريض وشعر رأسه قصير وخفيف، يعمل في معرض السيارات الخاص بوالده، وهو الآن المسؤول عنه، مُتزوج بالسيدة (سلمى) مُنذ عشرين عامًا، ولم يُرزق بأطفال حتى الآن.

تدخل عليهم (فريدة)، قائلة:

ـ "السلام عليكم".

يُجيبها شقيقها ووالدها بالتحية فتنظر هي إلى والدها، قائلة:

ـ "هل الأمر يستحق أن أترك منزلي الآن بعد منتصف الليل، أم إن الفراغ قتلك فقررت عقد اجتماع!"

يجيبها (ياسر)، قائلًا:

ـ "اهدأي يا (فريدة) لنرى ماذا حدث".

(فريدة) لديها سبعة وأربعون عامًا، لكن حين تراها تظنها في الثلاثين من عُمرها لنضارة بشرتها وبياضها وقوامها المثالي، متزوجة من المُهندس (كريم)، ولديهما فتاة تُدعى (ريم).

يدخل عليهم (عادل) غاضبًا، قائلًا في سخط:

ـ "ماذا يحدث هنا؟ لماذا هذا الاجتماع؟ لقد انتهيت للتو من يوم عصيب ولديّ موعد مهم في الصباح، أرجو أن يكون الموضوع يستحق".

(عادل) صاحب مكانة مرموقة في المجتمع، إذ إنه عضو بمجلس النواب، لديه واحد وخمسون عامًا، بدين نسبيًا، تتضح على ملامحه سمات الوقار، وزاد من هيبته شعر رأسه الأبيض، حليق اللحية دائمًا، مُتزوج من السيدة (أحلام)، ولديهما فتاة تُدعى (ميرنا).

ينظر إليهم الحاج بعينين صارمتين، ويتحدث في صُلب الموضوع دون مقدمات، قائلًا:

ـ "شقيقكم الأصغر قُبِضَ عليه بتهمة اغتصاب الأطفال وقتلهم!"

تتسع حدقتا عيني (ياسر) ناظرًا إلى إخوته في ذهول، في حين تشهق

(فريدة) من هول الصدمة، أما (عادل) فيتحدث قائلًا:

ـ "حقًا! لهذا الأمر تركت أعمالي وجئت إلى هنا! فليحترق (هاني) ومن معه!"

= "انتظر يا (عادل) ودَع والدنا يُكمل حديثه".

قالتها (فريدة) بفضول، فيستكمل الحاج حديثه، قائلًا:

ـ "هو يريد منا توكيل محامٍ للدفاع عنه و..".

يقاطعه (ياسر) قائلًا بصرامة:

ـ "أبي، جميعنا نعلم أنه مُدمن على المُخدرات، ويمُرّ علينا كُل يومين لمُساعدته بالأموال، ولا بأس بكل هذا، لكن يغتصب ويقتل الأطفال وتريد الدفاع عنه!"

تُكمل (فريدة) على كلمات شقيقها:

ـ "إنه لمن العار أن يختلط اسمه باسمنا".

يتحدث الحاج بصوته الغليظ ناظرًا في الأرض:

ـ "لم أكن أنوي تقديم المساعدة له".

ويرفع رأسه مُستكملًا حديثه:

ـ "(عادل) و(ياسر) ستذهبا إليه لتُخبروه ألا يتصل بي مجددًا، وأنه محروم من الميراث!"

يتحدث (عادل) باستهزاء قائلًا:

ـ "هل حقًّا تريد مني ترك جلسة مجلس النواب واجتماعاتي مع رجال

الأعمال لكى أذهب في زيارة للسجن، بالتأكيد أنت تمزح، أستأذن منكُم، فأنا بحاجة إلى النوم".

قالها وهمّ بالخروج من المنزل، فتُناديه (فريدة)، قائلة:

ـ "(عادل) انتظرني لتُصلني إلى منزلي".

قالتها وذهبت للّحاق به، في حين (ياسر) يتحدث إلى الحاج، قائلًا:

ـ "لا تقلق يا أبي، سأذهب إليه غدًا".

استمر الحديث بينهما قليلًا، في حين (عادل) أخذ شقيقته وغادرا المنزل، وفي أثناء نزولهما دَرج السلم، يضع (عادل) يده اليَمنى على مؤخرتها، فتصفعه برفق، قائلة:

ـ "ليس هنا أيها الغبي!"

******

تقول إحدى الأساطير القديمة إنه كانت هناك فتاة جسدها ممشوق، شعرها عسلي مُنساب كالحرير، عيناها واسعتان زرقاوتان، كأنهما نهران عظيمان، تتمنى الغوص فيهما حتى الغرق، بشرتها بيضاء تسُر الناظرين، رقبتها نحيلة وابتسامتها رقيقة، وما زاد من طُغيان أنوثتها هي غمازات وجهها المنحوت، فحين تراها يزدد إيمانك بقُدرة الخالق في صُنع الجمال، وكثيراً ما كانت محض أعين الكثير من الشباب، بل وحتى الفتيات يحسدونها على ما تمتلك من رقة وجمال وجسد مُختال عظيم المُنحنيات، ساحرة هي في جمالها، وسحرَها أبيض جميل خاطفٌ للقلوب، مُذهبٌ للعقول، تُصيب كُل من يراها بحُسنها ليبقى مُتيمًا في عشقها، مُتمنيَا عدم الشفاء، والبقاء مسحوراً على قيد عينيها، حين علم

(زيوِس) وهو أب الآلهة والبِشر عند الإغريق، بأمرها وما يفعله سحرها، جاء مُسرعًا ليأخذ جُزءا من جمالها؛ حفاظًا على توازن نسب الجمال بين بني آدم، ومنعًا لحدوث الفتنة، فلمّا رآها نسي ما أتى من أجله، وخرّ لها ساجدًا مُسبحًا بجمالها الطاغي، وقلبِها الرقيق، وروحِها الطاهرة، وبسمتِها الدافئة، وعينيها الحنونة، وحُسنها الجميل، وجسدها العظيم، واسمها (ريم).

(ريم) ابنة المُهندس (كريم) والسيدة (فريدة)، لديها من العمر ثلاثة وعشرون عامًا، وتدرس في كلية ا لهندسة في عامِها الأخير، تتحدث إلى الهاتف مع خطيبها وحبيب قلبها (آدم):

ـ "والآن، بما تشعر؟"

= "أنا بخير حبيبتي، وقد شُفيتُ تمامًا الحمد لله".

فقد كان مُصاباً بنزلة معوية مُنذ يومين، تتحدث (ريم) قائلة:

ـ "إذًا سأراك غدًا في الجامعة؟"

= "بالتأكيد حبيبتي".

ـ "حسنًا، اعتنِ بنفسك جيدًا، تُصبح على خير".

= "وأنت من أهل...، مهلًا مهلًا، نسيت أن أعطيك قُبلة".

تبتسم (ريم) وتُنهي المكالمة خارجة من غُرفتها للجلوس مع والدها ووالدتها.

ـ "عزيزتي تعالي واجلسي بجانبي، أريد أن أشبع منكِ قبل أن أسافر".

قالها المُهندس (كر يم) لابنته، المُهندس (كريم) يعمل في مجال البحث

والتنقيب عن البترول في إحدى المُحافظات البعيدة، ولا يرى أسرته إلا في إجازته، وهي سبعة أيام من كل شهر.

تُجيبه (ريم)، قائلة:

ـ "انتظر حبيبي، سأعد لك عصيراَ وآتي".

علاقة (ريم) بوالدها علاقة رائعة، لكن علاقتها بخالها (ياسر) أكثر من رائعة، فهو أقرب المُقربين إلى قلبها، وبمنزلة الأب الروحي لروحها، وخاصةً حين عَلِم من الأطباء أن فُرصته في الإنجاب تكاد تكون معدومة، فاتخذ منها طفلة له، وأعطاها أحن مشاعر الأبوة، ونجح في تعويض الغياب الدائم لوالدها.

******

يجلس (هاني) أ مام المقدم (يحيى) في غرفة التحقيقات، مُكبّل الأيدي، وأمام باب الغرفة يقف (حامد) أمين الشرطة، يتحدث المقدم إلى المُتهم، قائلًا:

ـ "اثنان وثلاثون طفل وطفلة اختفْوا في خلال الثلاث سنوات الأخيرة، ثمانية أطفال عُثِرَ على جثثهم، أين البقية؟"

= "حقًّا! تعتقد أنني سأجيب بتلك السهولة، بربك! أي نوع من المُحققين أنت! لنجعل الأمر أكثر إثارة، أنت تسأل وأنا سأجيب بصدق، ثُم أسألك وأنت تُجيبني بنفس المصداقية، لكن أشعل لنا سيجارتين أولًا".

يُريح المُقدم (يحيى) ظهره للخلف مُلقيَا إلى المُتهم سيجارة على الطاولة، سائلًا:

ـ "أين جثث الأطفال؟"

= "هل تعتقد أنني أتذكر مكان أربع وأربعين جثة؟! نعم، إنهم ليسوا اثنان وثلاثين كما قُلت، لكن على أي حال، ابحثوا في النيل وفي الصحراء، والآن أخبرني أنت، من الذي أرشدكم إليّ؟"

ـ "نحن نراقبك منذ ثلاثة أسابيع أيها المُغفل، الجثث التي وجدناها كانت جميعها ليست كاملة، يُوجد بها شيء ناقص مثل الكبد وأحيانًا القدم أو القلب، مع من تُتاجر في الأعضاء البشرية؟"

= "التزم القواعد أيها المُحقق، أنا أعرف أنكم بالتأكيد تُراقبونني منذ مدة، لكن السؤال هو من أرشدكم إليّ؟ أخي (عادل)؟"

يضرب المقدم (يحيى) بيمناه على الطاولة، قائلًا في غضب:

ـ "من المُمكن أن أجعلك تعترف بكل شيء رغمًا عنك! لماذا تُقطّعهم أيها الحقير؟"

يقترب (هاني)من المُقدم (يحيى) مُحدقًا النظر إلى عينيه، قائلًا:

ـ "وهل تظن أنني سأبكي وأرتعش حين تصعقني بالكهرباء، أو تضع سيخًا مشتعلًا في عيني أو تقتلع كبدي؟ حسنًا، كنت أقطّعهم لأنني أشتهي لحم الملائكة الصغار، إنها أشهى أنواع اللحوم! سؤالي لك الآن أيها المُحقق، هل لديك أبناء؟"

يلكُمه المُقدم (يحيى) بقبضته القوية، فيقع (هاني) على الأرض، فينقضَّ عليه المُقدِّم بالضرب واللكمات، فيتَدَخل (حامد) أمين الشرطة للإمساك بالمُقدم (يحيى)، ومنعه من ارتكاب جريمة القتل، وقبل أن يُغادر المقدم (يحيى)الغرفة، يناديه (هاني)، قائلًا:

ـ "(يحيى)، أعدك أنني سأزور أطفالك فور خروجي من هنا!"

تتشكل غمامة سوداء أمام عيني المُقدم (يحيى)، وشَعَرَ أن دماءه تغلي داخل جُمجمته، ولم يشعر بنفسه وهو يهجُم مُجددًا على ذلك السفاح؛ لينهال عليه بالضرب دون رحمة حتى تدَخل عديد من الضباط وأمناء الشرطة للسيطرة عليه وتهدئته.

******

يجلس (عادل) على مقعده المُخصص له في قاعة مجلس النواب مُرتدياً بدلته الأنيقة، والابتسامة تُزين ملامحه، ينظر في الورقة التي أعدها قبل هذه الجلسة مُهيئًا نفسه لتمثيل مشهد درامي أمام أعين النواب والجماهير، وها قد جاء دوره لإلقاء كلمته، فيقف ويُعدل من صوته "إحم إحم"، ثُم يتحدث بهدوء:

ـ "بسم الله الرحمن الرحيم، سيادة الرئيس، حضرات السادة النواب، اسمحوا لي أن أتحدث بشفافية ومصداقية، أمس تصادمت سيارتان على طريق مصر إسكندرية الصحراوي، وهذه الحادثة رقم تسعة التي تحدث في هذا الشهر على نفس الطريق، وراح ضحية الحادث رجُلان، كُلٌّ منهما لديه زوجة وأولاد، في الأسبوع الماضي سقط كوبري حديث الإنشاء على المشاة بمدينة المنصورة، وراح ضحية ذلك خمسة من شباب وطننا الغالي، ذلك بخلاف حوادث القطارات، وكُلُّ ذلك نتيجة سوء التخطيط، وعدم كفاءة القائمين على تنفيذ هذه المشروعات! (يستكمل بنبرة صوت عالية)، ولذلك أطالب بإقالة وزير النقل تفادياً لفقد ان الأرواح ولتعديل ما يمكن تعديله، وشكرًا لسيادتكم".

يجلس (عادل) بعد إلقاء ذلك الخطاب واثقًا في نفسه وسط تصفيق

بعض النواب، دون أن يعلم أحد حقيقة الأمر، وهو أن ذلك الوزير رفض إعطاء (عادل) قطعة أرض على الطريق العام؛ لأنها ملك للدولة ولا يجوز تخصيصها لأي أحد كان، فقرر (عادل) أن يشن عليه حرب لإقالته من منصبه.

******

فوجئ (هاني) حين أخبره السجان بوجود زائر ينتظره بالخارج، فذهب معه لملاقاة ذلك الزائر، وحين رأى (ياسر) عرف أن الأمر ليس مُبشرًا على الإطلاق، فجلس أمامه قائلًا:

ـ "مرحبًا أخي!"

يُجيبه ياسر بوجه صارم وصوت غليظ:

ـ "اسمع أيها القاتل، نحن لسنا إخوة، هذا ما أتيت لأخبرك به، لم يقدر أحد على زيارتك والنظر في وجهك، فالجلوس معك يُعدّ عارًا، إياك والاتصال بالحاج لتستعطفه مُجددًا، لن نوكل لك محاميًا، فموتك هو انتصار للإنسانية.

قالها ياسر وذهب في طريقه، في حين عاد هاني إلى السجن، وجلس في إحدى الزوايا مُشعلًا سيجارة، يُنفث فيها عن غضبه، وسيجارة تلو سيجارة، حتى اقترب منه شاب في وسط العشرينيات تقريبًا قائلًا:

ـ "مُمكن سيجارة؟"

ينظر إليه (هاني) قليلًا، ثُم يُعطيه السيجارة قائلًا:

ـ "اجلس بجانبي، اجلس أيها الغريب، أريد سؤالك عن شيء ما".

يجلس الشاب الذي يبدو عليه أنه مُرهق للغاية، توجد حول عينيه هالة سوداء، تدل على قلة النوم والإجهاد، يتحدث (هاني) سائلًا:

ـ "هل تؤمن بوجود الله؟"

لم يتفاجأ الشاب إطلاقًا بذلك السؤال، وأجاب وهو ينفخ دخان سيجارته قائلًا:

ـ "لا أعلم يا صديقي، ولكني أعتقد أننا جميعًا نؤمن، لكن بِنسَب متفاوتة".

أعجِب هاني بتلك الإجابة، فينظر إلى الشاب ويسأله قائلًا:

ـ "ما اسمك؟"

= "يامن".

ـ "وأنا هاني، ما الذي أتى بك إلى هنا؟ فيبدو أنك مثقف!"

= "قلبي".

قالها (يامن) ناظرًا أمامه في الفراغ، فيسأله (هاني) مُجددًا، وهو أيضًا ينظر أمامه في الفراغ:

ـ "وكيف حدث ذلك؟"

= "قابلت فتاة وأحببتها بشدة، قلبي ينبض باسمها، وصارت هي كُلَّ حياتي، بُحت لها عن مشاعري، فأخبرتني أنها تُحب رجلًا آخر، فسألتها أن تُعطيني فرصة فقط، فأنا حقًّا لا أقدر على العيش بدونها، وتقدمت لخطبتها، لكنها رفضتني مرارًا وتكرارًا، حتى أشفقتْ على قلبي، وقررت أن تُعطيني فرصة، فتقدمت إليها مُجددًا ووافقت، وبعد أربع وعشرين

ساعة، أخبرتني أنها لم ترتاح بجانبي، وأنها مضطرة إلى فسخ تلك الخِطبة، هل حقًّا يوم واحد يكفي لتحكم عليَّ؟! وبعد ذلك بيوم واحدَ، تمت خطبتها لذلك الذي تهواه، لقد كانت تضغط عليه ليخطبها مُستخدمة في ذلك قلبي، لم أستطع تصديق ذلك، فاشتريت مُسدسًا، وقررتُ قتل ذلك الذي تلاعبت بي من أجله، تتبعته في أثناء سيره، وصوبت المسدس على رأسه، لكنني لم أنجح في التصويب، وأمسكوني المارّة، حتى جاءت الشرطة، وها أنا هنا الآن، أنتظر المحاكمة، وهما بالخارج يقضيان أمتع الأوقات.

ـ "أي نوع من الوحوش أنت؟! هل حقًّا تريد قتل حبيب حبيبتك؟"

تتلألأ الدموع في عيني (يامن)، فأغلق جفنيه بقوة ليمنع سيل دموعه، في حين يتحدث (هاني)، قائلًا:

ـ "دعني أخفف من آلامك بطرح جزء من قصتي، حين كنت في التاسعة من عُمري، كنت أقوم بتأمين أخي الأكبر وهو يُدفئ فراش شقيقتي، وحين كنت في الثانية عشرة، شعرت برغبة في مشاركته جسدها، فأبى، وجلب لي طفلًا في السادسة من عُمره لأفعل به ما أشاء، ومنذ ذلك الحين أصبحت عاشقًا للحم الملائكة الصغار، واستمر الحال كما هو، أنا أقوم بتأمينه وهو معها، وهو يجلب لي الأطفال حتى تزوجت شقيقتي، وأصبح عليّ اقتناء الصغار بنفسي، والآن قام أخي هذا الذي حفظت سره طيلة حياتي بالتبليغ عني، وتسليمي للشرطة، أنا على يقين من ذلك، فهو الوحيد الذي يعلم بأمري، وهو الوحيد القادر على فعل ذلك، أخي هذا هو (عادل إسماعيل البدوي)".

لم يتفاجأ (يامن) لسماع هذه الكلمات، فيبدو أنه قد نسيَ قلبه على

باب إحداهن، فأصبح لا يشعر بشيء، أما (هاني) فبدأ يخلع بنطاله، ويداعب نفسه على الملأ أمام أعين الجميع، ويضحك صارخًا مستمتعًا بمعصيته، دون خشية أو خجل، وسط ذهول جميع من حوله!

******

في تمام التاسعة صباحًا، بعد ذهاب (ريم) إلى الجامعة، قامت والدتها (فريدة) بتبديل ثيابها، لترتدي قميصًا لا يستر شيئًا من جسدها، وزيّنت وجهها، وتعطرت بأذكى العطور؛ لاستقبال شقيقها ومعشوقها، تفتح له الباب حين يطرق لتصطحبه إلى غُرفة نومها، وبعد نصف ساعة من ممارسة الرذيلة، يستلقي على ظهره مُحتضنًا إياها، قائلًا:

ـ "يا لَه من صباح مُفعم بالنشاط".

تضحك (فريدة) قائلة:

ـ "أنت دائمًا جامح يا حبيبي".

يضحك (عادل) مُفتخرًا من نفسه، وهي تكمل حديثها، قائلة:

ـ "أخبرني، ألا تخشى أن يتكلم هاني ويفضح أمرنا؟"

= "بالتأكيد سيحاول، لكن من سيَصدق ذلك السفاح مُغتصب الأطفال! اطمئني يا حبيبتي".

ـ "على كُل حال فقد أحسنت التصرف، لكن بعد أن يعلم الجميع أنه شقيقك ستُصبح منبوذًا أنت الآخر، وستضيع كُل أحلامنا".

= "لا تقلقي، فقد اتفقت مع المسؤولين لتبقى التحقيقات معه في سرية تامة، ذلك جزاء من يحاول تهديدنا واستبزازنا، أما بالنسبة إلى

أحلامنا، أعدك أنها ستتحقق، والآن تعالِي إلى هنا يا قطتي".

قالها وهو يجذبها من خصرها، لتلتصق به بقوة وهي تضحك، قائلة:

ـ "أنا لست قطتك، وأنت لست قط بل أنا *** يا أسدي!"

******

في جو عائلي مملوء بالدفء والمرح، في منزل (ياسر)، يجلس الأخير بجانب (آدم) خطيب (ريم)، وأمامهما تجلس الأخيرة بجانب(سلمى) زوجة (ياسر)، يتناولون جميعًا النقانق والمقرمشات، ويشاهدون التلفاز، ويتحدثون في عدة مواضيع مُختلفة.

علاقة (ريم) و(سلمى) ليست مجرد علاقة فتاة بزوجة خالها فقط، بل هـ م بمنزلة الشقيقتان على رغم فارق العشرين عامًا، فإن (سلمى) تمتلك روح فتاة في العشرين، ولديها حس فُكاهي لا مثيل له، يجعلها تكتسب صداقة وثقة أي أحد وبسهولة، وكثيراً ما تشمل أحاديثهم أسرارا لا يعلمُها أحد سواهما، كما أن (ريم) لم تجد ذلك الاحتواء في منزلها، فوالدها المُهندس (كريم) دائم السفر، ووالدتها (فريدة) لا تكترث لأمرها بتاتًا، لا تعلم إذا تناولت غذاءها أم لا، لا تعلم هل نامت جيدًا أم إن الصداع منعها من ذلك، لا تعلم إذا كانت ابنتها سعيدة أم حزينة، لم تهتم لأمرها قط، ولا تسألها عن أي شيء، افتقدت (ريم) الحنان العائلي، والدفء الأسري، لكنها وجدت ما فقدته في منزل خالها (ياسر)، فكان هو بمنزلة الأب والصديق، وكانت (سلمى) بمنزلة الأم والشقيقة في آن واحد، ولا يمُر يوم على (ريم) دون أن تقضي معهما أربع ساعات على أقل تقدير، حتى إذا طلب منها خطيبها زيارتها تُخبره هي أن يأتي إلى منزل خالها (ياسر)، فذلك هو منزلها

الحقيقي.

يتحدث (آدم) قائلًا:

ـ "انتبهوا معي يا رفاق، أريد أخذ مشورتكم في أمر مهم".

ينظرون جميعًا إليه بآذان مصغية، وهو يكمل حديثه، قائلًا:

ـ "كما تعلمون جميعًا زواجي من (ريم) سيكون بعد تسعة أشهر من الآن، أي بعد تخرَجي في الجامعة بخمسة أشهر فقط، ولذلك بدأت البحث عن فُرص العمل المُتاحة أمامي، وعن الشركات التي تقوم بتوظيف الخريجين الجُدد، فلم أجد إلا شركة واحدة يمكنني العمل بها، وهي شركة تسويق عقاري، لكن المقابل المادي متواضع للغاية، فهل أوافق على ذلك العمل أم أنتظر بعد الزواج، وأصطحب (ريم) معي، ونسافر إلى الخارج للبحث عن عمل ومعيشة أفضل"؟

تعتدل (سلمى) في جلستها، وتُشير إليه بسبابتها، قائلة:

ـ "اسمع يا هذا، إذا فكرت مجدداً في أخذ (ريم) بعيدًا عني سأقتلك!"

تضحك (ريم) وهي تحتضنها، في حين (ياسر) يتحدث قائلًا:

ـ "اسمع يا بُني، لا تفكر بالسفر أبدًا إلا إذا كان المقابل المادي جيّدًا جدًّا، وليس جيدًا فقط، فإذا كنت تريد السفر للبحث في الخارج، فمن الأفضل أن تبحث هنا، أتفهمني؟"

تتدخل (ريم) في الحديث قائلة قبل أن يتحدث خطيبها:

ـ "لا تقلق يا (آدم)، فأنا أيضًا أنوي العمل، وبراتبك الصغير مع راتبي الصغير، سنعيش سعداء".

يُجيبها محبوبها، قائلًا:

ـ "أي عمل هذا؟ يا حبيبتي الملائكة لم تُخلق للعمل وكسب الأموال".

عجزت (ريم) عن الكلام وشعرت بالخجل أمام خالها وزوجته، فتتحدث الأخيرة مُغيرة مجرى الحديث، قائلة:

ـ "انتبهوا! الآن سيبدأ الفيلم".

******

كان الحاج (إسماعيل) في السابق يباشر عمله بنفسه في معرض السيارات الخاص به، لكن بعد أن اشتد عليه المرض، وأصبح قعيدًا في منزله، تولى (ياسر) إدارة المعرض وتشغيله بجانب (سعد)، وذلك الأخير يعمل في المعرض منذ أن كان مُراهقًا، والآن لديه من العُمر خمسون عامًا، ويُعتبر هو صديق الحاج الوحيد في هذه الدُنيا، أما (ياسر) فهو أيضًا يعمل في المعرض منذ القدم حتى الآن، بأجر مثله مثل (سعد)، كأنه عامل وليس المالك، وذلك الأمر أزعج (ياسر) بشدة، لكنه لم يُبد شيئًا، ورضىَ بنصيبه، هو لم يكن يريد أموال أكثر، هو فقط يريد قليلًا من التقدير، فكان يردد في نفسه باستمرار "لماذا يعاملني الحاج بذلك الجفاء وتلك الصرامة، وأنا الوحيد في هذه الدنيا المُهتم لأمره؟! على كُل حال سأحتسبها صدقة وأجري عند الله".

يجلس (سعد) بجانب الحاج في منزل الأخير، يتحدث (سعد) قائلًا:

ـ "لعل الأمر خيرٌ، فمُنذ أن حدثتني في الهاتف، وأخبرتني أنك تريد التحدث معي، وأنا قلق، فأنا لم أسمع تلك النبرة الغليظة منذ مدة كبيرة".

يسعل الحاج باصقًا مُخاطه في المنديل القماش الذي لا يفارق يمناه، ثُم يتحدث قائلًا:

ــ "ليس خيراً يا (سعد)، ليس خيراً، أتتذكر عملياتنا القديمة؟"

يبتعد (سعد) برأسه للخلف متعجباً بشدة، سائلًا:

ــ "عملياتنا القديمة؟!"

يبصق الحاج مُجدداً في المنديل، ويتحدث قائلًا:

ــ "نعم، تلك العمليات التي نُشهر فيها أسلحتنا، ونسحق من هم أمامنا!"

= "أخبرني يا (إسماعيل) بكل شيء، أخبرني، ماذا تريد وماذا سيحدث؟"

(سعد) هو الوحيد الذي ينادي الحاج (إسماعيل) باسمه مباشرة دون ألقاب، وذلك لما بينهما من عشرة طويلة، وأسرار كثيرة لا يعلمها أحد سواهما، ينظر الحاج إليه مُقطباً حاجبيه، ويتحدث قائلًا:

ــ "سأضع ثلثي ثروتي في هذه العملية يا (سعد)، والخطأ بها ممنوع، والآن اصغ لي جيداً".

******

في تمام الثامنة مساءً، في أحد شوارع القاهرة، يسير (آدم) بجانب حبيبته مُمسكًا يدها بتلك الطريقة المُحببة للعاشقين، فأصابع يده تتشابك مع أصابعها والكفان يحتضنان بعضهما.

(آدم) لديه من العُمر خمسة وعشرون عامًا، يمتلك جسدًا رياضيًا على رغم أنه لا يمارسها، ولديه لحية خفيفة تُزيد من بشاشة وجهه الأبيض،

رجل كلاسيكي يعشق البنطال والقميص والساعة والحذاء اللامع، يسير بجانب محبوبته وهي تسحبه من يده إلى محل تلو الآخر؛ لتنتقي له أفضل الثياب، فـ هي مُعتادة اختيار كُلِّ شيء في حياته، وبعد شرائهم لبعض القمصان أخذها لتناول وجبة الشاورما من عند ذلك العم السوري المُتفنن في صناعتها، ثُم أخذها إلى أحد الأماكن الهادئة؛ لاحتساء العصير والتحدث في هدوء، وبينما هي تتحدث معه فاجأها بعلبة أنيقة مملوءة بالشوكولاتة والحلوى كهدية صغيرة من دون مناسبة، وبعد ساعة، قام بتوصيلها إلى منزلها بسيارته المتواضعة، وهي في قمة السعادة بعد قضاء تلك اللحظات السعيدة بجانب معشوقها.

تدخل (ريم) إلى غرفتها، تستلقي على فراشها، وتتثاءب وقد تمكَّن النعاس من عقلها رويدًا رويدًا، تسمع صوت رنين هاتفها فتلتقته، وتبتسم حين ترى اسم والدها، فتقوم من نومتها جالسة مُجيبة إياه قائلة:

ـ "مرحبًا أبي".

= "مرحبًا عزيزتي، كيف هي أخبارك؟"

ـ "أنا بخير حبيبي، وأنت كيف أحوالك؟"

= "بخير حبيبتي، بخير".

يسود الصمت ثانيتين، ثُم يتحدث المُهندس (كريم) مُجددًا:

ـ "ابنتي، حبيبتي، أريد أن أخبرك بشيء مهم".

= "خير يا أبي، ماذا هنالك؟"

يتنهد المُهندس (كريم)، ويتحدث قائلًا:

ـ "عزيزتي، لقد عشت طيلة عُمري بعيدًا عنك، بالكاد أراكِ كُل شهر خمسة أيام أو ستة، وأنا أعرف جيدًا أن والدتكِ لا تهتم لأمرِ أحد أبدًا، وبدلًا من أن أحتويكِ انهمكت في عملي و..".

تستوقفه (ريم)، قائلة:

ـ "أبي، لما اذا تقول هذا؟ أنت لم تُقصر معي قط، أنت أفضل أب على الإطلاق".

= "أرجوكِ اتركيني أتحدث يا (ريم)، ولا تقاطعيني، بدلًا من أن أحتويكِ انهمكت في عملي؛ لتجميع ثروة ضخمة قدر الإمكان، وكان ضميري يؤنبني كثيرًا على كوني السبب في افتقارك إلى حناني، وكنت حينها أداوي ضميري، وأقول إن هذه الثروة في النهاية ليست لأحد سواكِ أنتِ يا صغيرتي، أدركت مؤخرًا أن هذه الثروة لن تستطيع تعويضك عما فقدتيه من حب والدك، لا أعلم كم مرة بكيتِ فيها بمفردك على فراشك! ولا أعلم كيف تجاوزتي مراهقتك! وكم كانت هذه المدة عصيبة دون أب وبوجود أم لا تهتم، لا شيء بيدى الآن إلا....".

تستوقفه (ريم) مُجددًا:

ـ "أبي، أرجوك كفى، أنا لا أريد ذلك الحديث، أنا أحبك بشدة، وأعلم أن كل شيء كان رغمًا عنك".

= "دعيني أكمل يا صغيرتي، فأنا لم أكتشف كُل ذلك إلا الآن، بعد أن أصبحتِ عروسًا يَطمع بها كُلُّ الفِتيان، فسامحيني على ما ضيعته،

ولتعلمي أن حسابك البنكي الآن قد تجاوز خمسة ملايين جُنيه".

ـ "أبي، أنا لا أريد كُل هذا، أريدك فقط أن تعلم أنني أحبك، وأعلم جيدًا أنه لم يكن من السهل عليك الابتعاد عني، لولا ظروف عملك، وأرجوك لا تتحدث هكذا، فأنا حقًّا سأبكي".

= "لا تبكي يا صغيرتي، حسنًا، أخبريني، كيف تسير الأمور مع خطيبك؟"

تبتسم (ريم)، وتستلقي مُجددًا على الفراش، قائلة بهدوء وسرور:

ـ "لقد جاء اليوم واصطحبني بعد أن استأذن من خالي (ياسر)، وذهبنا في نُزهة مُمتعة للغاية".

= "ذلك الفتى يُحبك بحق يا ابنتي".

ـ "نعم يا أبي، وأنا أحبه أيضًا، أخبرني أنت، متى ستعود؟"

= "قريبًا حبيبتي، قريبًا".

******

يجلس (عادل) مع زوجته وابنته في ڤيلا (شريف) بيه، رجل الأعمال المشهور، بعد أن دُعي لحضور ذلك الحفل بصحبة أسرته، زوجة (عادل) تُدعى (أحلام)، أما ابنته فهي (ميرنا)، في عامها الأول الجامعي، وكلتاهما لا تعلمان شيئًا عن السياسة أو عن أعمال (عادل) إلا أنه عضو بمجلس النواب.

تنظر السيدة (أحلام) حولها في ذهول مُتعجبة مما تراه حولها، فالرجال يقبلون النساء دون حرج، والخمر في كل مكان، وهي امرأة مُحافظة، لا تحب هذه الأفعال التي تحدث من حولها، وازداد انزعاجها حين رأت

ابنتها شاردة فيما يحدث حولهما، فتقترب من زوجها قائلة:

ـ "(عادل) يجب علينا المغادرة الآن!"

= "هكذا أنتِ دائمًا تحبين الكبت، إذا أردتِ المغادرة فاذهبي".

كانت (أحلام) على وشك الرد عليه، لكنها توقفت، وابتسمت رغمًا عنها أمام مُضيفهم (شريف) بيه، الذي اقترب منهم فاتحًا ذراعيه لاحتضان صديقه (عادل) قائلًا:

ـ "أهلًا وسهلًا (عادل) بيه".

يحتضنه (عادل) رادًّا عليه التحية، ثُم يقدم إليه زوجته وابنته، ثُم يستأذن منهما (عادل) للحديث مع (شريف) بيه في أمر ما بانفراد، ذلك الأخير لديه من العُمر سبعون عامًا، وجهه عريض ولديه جسد ممتلئ بالدهون، أصلع الرأس، ويتمتع بالثراء الفاحش، والفضل في ذلك يعود لتجارته في اللحوم، فهو يمتلك عدة حقول ومزارع في كافة أنحاء البلاد لتربية الأبقار والمواشي، ويستحوذ على أكثر من ثُمانين بالمائة من هذه التجارة.

يدخلان معًا إلى مكتب (شريف) بيه، ليجدا أحد الأصدقاء بانتظارهما، فيَسلم عليه (عادل) قائلًا:

ـ "أهلًا (سمير) بيه".

= "أهلًا بك سيادة النائب، انا أتطلع لمقابلتك منذ مدة كبيرة".

ـ "هذه الكلمات وسام أضعه على صدري، أرجوك اجلس".

يجلسون جميعًا، ويقوم (شريف) بيه بتوزيع كؤوس الخمر، وبعد عدة

لحظات يستكمل (عادل) حديثه إلى (سمير) قائلًا:

ـ "سيادة الوزير، حين دعاني (شريف) بيه إلى هذا الحفل، أخبرته أن يدعوك؛ لأنني أريد مقابلتك، والتحدث معك".

= "ولماذا لم تزرني في أي وقت؟"

ـ "أنا لا أحب الأجواء الرسمية في المكاتب، خاصةً إذا كان الأمر حساسًا".

= "خير يا سيادة النائب، لقد أثرت فضولي".

ـ "في الحقيقة لا أعرف من أين أبدأ حديثي، لكني سأدخل في صُلب الموضوع مباشرة، منذ عدة ليالٍ قام أحد المجهولين بإرسال عدة ملفات إلى مكتبي الخاص، هذه الملفات تفيد تورطك في عدة قضايا حساسة للغاية لرجل في منصبك، منها رشوة تقاضيتها من إحدى الشركات؛ لتصدّق لهم على إقامة مشروعهم الخاص على مياه النيل، ورشوة أخرى تقاضيتها من مصنع معروف؛ لتوصيل مياه النيل إليهم عبر مواسير ضخمة تحت الأرض، ليستخدموا مئات الأمتار المكعبة من المياه في اليوم الواحد دون رقيب أو حسيب، وقضايا أخرى عديدة، وبعيدًا عن ذلك، فهو أرسل لي مع هذه الملفات أسطوانة بها مقطع فيديو لك، أعتقد أنك لا تريد أن تراه".

= "مقطع فيديو! ماذا يوجد به؟"

ـ "إنه مقطع فيديو لمدة خمس دقائق تقريبًا، بصحبة إحدى الراقصات المغمورات، أتريد مشاهدته؟"

يفك (سمير) ربطة عُنقه، وقد بدأ بالتعرق، يرتشف كأسًا من الخمر

ويتحدث سائلًا:

ـ "أين هذه الملفات؟"

= "أحرقتها بدون تفكير، لا تقلق فنحن أصدقاء، أليس كذلك؟"

ـ "أرجوك يا سيادة النائب، لا تتبع معي هذا الأسلوب، وأخبرني بما تريده مباشرة".

= "هدئ من روعك يا سيادة الوزير، سأجعل الأمر سهلًا للغاية، في الحقيقة الأيام القادمة ستشهد عدة تفجيرات في محطات توليد المياه في مختلف المحافظات، وكُل ما أريده منك ألا تحل هذه المشكلات، أو على الأقل تأخر في إصلاحها".

ـ "ماذا تقول! هل جننت؟!"

= "اهدأ يا (سمير) بيه ولا تقلق من أي شيء، فلا يوجد ما يضرك أو يفيد تورطك، الإعلام سيلقي كامل تركيزه على هؤلاء الإرهابيين الخارقين للقانون، فماذا عساك أنت أن تفعل؟"

يتحدث (شريف) قائلًا:

ـ "لا تقلق يا سيادة الوزير، فلن يلتفت أحد إليك، فالجميع سيطالب بالقبض على هؤلاء المُخربين، وأنت لست واحدًا منهم".

يعود (عادل) للحديث مُجددًا:

ـ "السؤال الحقيقي الآن يا (سمير) بيه، هل تريد قضاء ما تبقى لك من عُمرك في السجن أم تريد قضاءها مع عائلتك مُرفهًا وسط أملاكك؟"

يُجيب (سمير) مُتوترًا غارقًا في خوفه قائلًا:

ـ "أعتقد أنه يجب علينا احتساء نخب الصداقة".

******

شعرت (سلمى) بإعياء شديد على مدار اليومين المُنقضيين، ولذلك أخذت (ريم)، وتوجهتا معًا إلى الطبيبة، وعادتا بأسعد خبر على الإطلاق، فقد أخبرتهما الطبيبة أن (سلمى) تحمل بداخلها طفلًا في شهره الثاني، ومنذ سماعهما لذلك الخبر وهن لا تتوقفا عن البكاء والضحك وشُكر الله على تلك النعمة المُنتظرة منذ عشرين عامًا، فيشاء القدير ألا يحدث ذلك وهي في عقدها الثالث أو الرابع، ويجازي صبرها وقوة إيمانها في النهاية، وهي في عامها الرابع والأربعين، فماذا بينك وبين ربك يا (سلمى)؟!

تصعدان درجات السلم، وتتحدث (ريم) قائلة:

ـ "لا أتخيل رد فعل خالي حين يعلم".

تزداد خفقات قلب (سلمى)، وهي تتذكر ذلك اليوم بعد زواجها بعامين، حين أتى إليها (ياسر) باكيًا سائلًا إن كانت تريد الانفصال عنه، فأخبرته أنه هو طفلها وزوجها ولا تر يد شيئًا إلا وجوده بجانبها، تتذكر كم من الليالي مرت وهي تبكي على الفراش دون أنين حتى لا يسمعها زوجها لرغبتها بالأمومة.

تفتح (سلمى) الباب، وتدخل وتتبعها (ريم)، حين رآهما (ياسر) الجالس في الصالون، هبّ واقفًا سائلًا بانفعال:

ـ "لماذا لا تردان على هواتفكما؟"

تنظران إلى بعضهما بابتسامة خفيفة، تُجيبه (سلمى) قائلة:

ـ "لم أرد على الهاتف؛ لأنني أردت أن أنظر في عينيك وأنا أخبرك بذلك".

يقترب منها(ياسر) سائلًا بهدوء:

ـ "هل أنتِ بخير يا حبيبتي؟"

تتنهد (سلمى)، وتلمع عيناها بالدموع، تتلعثُم من كثرة المشاعر بداخلها، قائلة:

ـ "أنا حبلى!"

وقعت هذه الكلمة على مسامعه، فأشرقت شمسه بعد ليل طويل ذاق فيه الحرمان المرير، وحارب فيه العجز والنحيب والعويل بدرع الصبَابَة والإيمان والحنين، ينظر إليها بقوة في عينيها ويشهق عمدًا؛ ليتأكد أن ذلك ليس حلمًا، فهو معتاد أن يستيقظ بعد هذه الجملة، لكنه لم يستيقظ بعد، فيشهق مجددًا مُقبضًا على يديها بقوة، فتسحب يدها لتضعها بحنان على وجنتيه، قائلة:

ـ "أنت لا تحلم يا حبيبي، أنا أحمل بداخلي طفلك".

يجذبها بقوة مُطبقًا جفنيه محاولًا التماسك، دافسًا بشاشة وجهه في رقبتها، مُختبئًا في خصلات شعرها، فأصابها بلوعة قلبه ووِصَاله، وشَعَرَت بتمتماته الشاكرة لمولاه، ووجدته فجأة على الأرض ساجدًا باكيًا حامدًا مُسبحًا بقدرة القدير.

******

بعد احتساء نخب الصداقة، قام (سمير) وودعهما على أن يبقيا دائمًا على تواصل مُستمر، وخرج (شريف) بصحبة (عادل) يتناقشون معًا، حتى وصلا إلى الطاولة الجالسة حولها زوجة الأخير وابنته، وجلسا معهما يستمعون جميعًا إلى الموسيقى الهادئة، ويتحدث (شريف) قائلًا:

ـ "لديك قدرة هائلة في الحديث يا (عادل) بيه".

= "هذا كله في سبيل وطننا الغالي يا (شريف) بيه".

ـ "بالتأكيد يا (عادل) بيه، وأحيانًا يتطلب الأمر منا بعض التضحيات".

قالها (شريف)، وهو يُمسك بخصر (ميرنا)، فتبرق عينا الفتاة محدقة النظر في أبيها الذي لم يُحرك ساكنًا.

ـ "لديك فتاة مثل القمر!"

قالها (شريف)، وهو ما زال مُحيطًا خصر الفتاة بيمينه، فتقوم السيدة (أحلام) وتجذب ابنتها بقوة قائلة:

ـ "هيا بنا من هنا يا ابنتي".

يقوم (عادل) مُسرعًا ويُفلت الفتاة من قبضة والدتها ناظرًا إلى صديقه، قائلًا:

ـ "المعذرة (شريف) بيه، فالمدام مُرهقة هذه الأيام، سأقوم بتوصيلها للخارج".

يعلو صوت (أحلام)، وهي تقول:

ـ "أجننت أنت أم ماذا، اتركني، (ميرنا)، اتركني!"

ينتبه الحضور إلى ما يحدث، في حين يجذبها (عادل) إلى الخارج، وهي تحاول التملص منه، قائلة:

ـ "اتركني أيها المجنون، أنت لست رجلًا، (ميرنا) ابنتي!"

وصلا إلى السيارة، فيفتح (عادل) بابها ويلقي زوجته بالداخل، ويهجم عليها صافعًا خدها بقوة صارخًا في وجهها:

ـ "أتريدين فضيحتي أيتها العاهرة؟!"

= "كُلُّ هذا لأنني أدافع عن ابنتك، استيقظ مما أنت فيه، كيف لك أن تسمح لذلك الأخرق بوضع يده على ابنتك يا عديم النخوة؟!"

يصفعها عادل مرارًا وتكرارًا، ويُحكم قبضته على عُنقها مانعًا إياها من التنفس، قائلًا:

ـ "اصمتي أيتها الشمطاء، اصمتي، اصمتي!"

يضغط بقوة بلا وعي، ويجزّ على ضروسه من فرط الغضب والجنون، وهي تحاول الإفلات بلا جدوى، حتى احمرت عيناها، وسال لعابها مُعلنًا وفاتها!

يفيق (عادل) ويعود إلى عقله بعد فوات الأوان، ينظر حوله في خوف، ثُم يترجّل خارجًا من السيارة، ويحكم إغلاقها، ويُعدِّل من هيئته، ويعود إلى الحفل، يبتسم لـ (شريف) قائلًا:

ـ "أرجو المعذرة (شريف) بيه، لكني مُضطر إلى الذهاب الآن، فزوجتي مُتعبة للغاية، وبحاجة إلى الراحة".

= "لا توجد مشكلة، لكن إن كان لا يوجد مانع لديك، فسيمكث هذا

القمر معي".

قالها مُشيراً بعينيه إلى (ميرنا)، فيَجيبه (عادل) قائلًا:

ـ "بالتأكيد (شريف) بيه، كما تريد".

يلتفت إلى ابنته مُمسكًا عضديها مُبتسمًا، قائلًا:

ـ "كم أنتِ محظوظة يا ابنتي، فقد نلتِ إعجاب (شريف) بيه".

تُجيبه الفتاة في خوف وارتباك، قائلة باستجداء:

ـ "أبي، أبي!"

يبتسم لها والدها مُستنكراً رجاءها مُتجاهلًا خوفها، ويستدير ويذهب للتخلص من تلك الجثة.

******

هــروب واحتـواء

تمُر الأيام على (هاني) في السجن الخاص بقسم الشرطة، منتظراَ عرضه على النيابة والحكم النهائي بعد يومين، وقد اتخذ من (يامن) مؤنِسًا وخليلًا، يجلس معه دائمًا، ويتحدثون، ويُدخنون السجائر مثلما هما جالسان الآن بإحدى الزوايا.

يتحدث (هاني) قائلًا:

ـ "ماذا ستفعل حين تخرج من هنا؟"

يُجيبه (يامن) بهدوئه المعتاد، ونبرته الهادئة:

ـ "سأقتل ذلك اللعين، وهذه المرة لن أخطئ التصويب".

= "أتقصد حبيب حبيبتك؟ ألا تخشى عليها من الألم! ألا تخشى تعب والديك حين تُسجن؟"

ـ "ليس لديّ والدان ولا إخوة ولا أقارب".

= "لم أخطئ في البداية حين شَعَرتُ بأنك تُشبهني".

ـ "أشبهك! كلا، أنا لست قاتلًا للأطفال!"

قالها (يامن) مُستنكراَ، فيَجيبه (هاني)، قائلًا:

ـ "أنت تجرح مشاعري الآن يا صديقي، انتقِ ألفاظك، وأحسن التعبير، أنا رجل أعيش على أرواح الملائكة الصغار، وأستلذ بلحمهم الطري، ما ذنبي في ذلك؟! فأنا لم أختر ضميري، ولم أسوِّ ميولي! تمامًا مثل حبيبتك التي تلاعبت بك، فهي وصلت إلى مبتغاها دون الالتفات إلى الضرر الحادث للآخرين، نحن مُسيّريْنِ يا صديقي!"

= "لا، نحن مُخيّريْنِ فيما نعلم، ومُسيّريْن فيما لا نعلم".

ـ "إنها إجابة دبلوماسية؛ لأن العقل البشري يرفض حقيقة عجزه، حقيقة أننا لا دخل لنا في مُجريات حيواتنا، فأنا مثلًا لم أختر أن أكون في هذا الكوكب، ولم أختر عقلي وأفكاري، بل وجِدتُ في هذا الكوكب دون رغبة مني، ولو كان الأمر متروكًا لي لاخترت أن أعيش في عالم آخر، حيث تؤكل الملائكة الصغار (يُطبق جفنيه، ويستكمل مُبتسمًا بتلذذ)، فبعد أن تضع الأنثى ملاكها الأول، يُترك لينمو ويعيش، والثاني يُحتَفَل به وسط ا لعائلة في حفلة شواء على شرفه، بعد أن نتذوق جميعًا الطهارة من روحه بتناوب عادل، ويُترك الملاك الثالث ليعيش والرابع يُحتفَل به مثل الثاني، الأعداد الزوجية مُقدسة في ذلك العالم، يا إلهي! أليست هذه الجنة؟!"

يُجيبه (يامن) مُنفثًا دخان سيجارته بهدوء، قائلًا:

ـ "الجنة الحقيقية هي في ذلك العالم الذي لا يوجد به نساء، لا يوجد به شيء مؤنث إطلاقًا، فقط رجال وذكور، أتعتقد أنه في ذلك العالم سيحدث خلافات أو خيانة أو حروب؟!"

يفتح (هاني) عينيه، ويصمت لحظات مُفكرَا، ويُجيب قائلًا:

= "معك كامل الحق، هؤلاء النساء وحوش الرب على الأرض، إنهن ينزفن الدماء شهريّاً ولا يتأثرن، أتتخيل أنت أن تنزف الدماء من رمز ذكورتك شهرًا تلو الآخر تلو الآخر بلا توقف! يا إلهي، مُجرد التفكير في ذلك يُشعرني بالألم".

يلتفت إليه (يامن)، وقد انفرج ثغره عن ابتسامة خفيفة، قائلًا:

ـ "أنت مخبول بلا شك يا صديقي!"

******

كانت (ريم) على موعد مع خطيبها للخروج، وتناوُل الغداء، والجلوس معًا في الخارج، لكنها أدركت أن والدته - حماتها- مريضة، فقررت أن تذهب إليها للاطمئنان عليها قبل الخروج المُخطط له.

تجلس (ريم) قبالة محبوبها في أحد الأماكن الراقية، ذات الموسيقى الهادئة، وتتحدث قائلة:

ـ "كان يجب علينا الجلوس مع والدتك اليوم، وعدم الخروج".

= "كنت أود ذلك، لكن كما رأيتِ، هي من أصرت على أن أصطحبك للخروج".

ـ "حسنًا سنجلس قليلًا، ثُم نعود إليها مُجددًا".

= "حبيبتي، إنها فقط نزلة برد، لماذا أنتِ قلقة إلى هذا الحد؟"

ـ "أنا قلقة عليها؛ لأنها أنجبت أكثر الرجال شهامة ووسامة، لأنها أنجبت حبيبي وقرة عيني".

بشَّ وجهه، وأشرقت عيناه قائلًا:

ـ "لو تعلمين كم أعاني الصمود أمام عينيكِ؛ لأظهر لكِ بهذا التماسك وتلك الرزانة! ثُم تأتي كلمة "أحبكَ" منك، تنتهكين بها قلبي، وتخور قواي، لأ عود طفلًا عاشقًا لأمه، وأنتِ أمي وأمتي وأمني وأماني".

انفرجت شفتاها مُبتسمة، وأبعدت عينيها عن عينيه، وقد احمرت وجنتاها خجلًا، فيدخل العامل ليضع أمامها الطعام قاطعًا عليهما لحظتهما الممتعة، وبعد عدة دقائق، وجدها (آدم) شاردة لا تأكل، فهَمَّ بسؤالها:

ـ "حبيبتي، هل أنتِ بخير؟"

تُجيبه بعد لحظات، وكأن السؤال وصل إلى أذنيها متأخرًا:

ـ "نعم حبيبي، نعم أنا بخير".

يضع (آدم) الملعقة على الطاولة، ويُربِّت برفق على يسراها بيمناه قائلًا:

ـ "أنا أرى الإرهاق في عينيكِ، وأشعر أنكِ لستِ على ما يرام، أخبريني حبيبتي، ما الأمر؟"

= "أنا بخير يا حبيبي، لا تقلق، فقط تذكرت والدي".

ـ "ماذا به، أليس بخير؟"

= "إنه بخير، لكنه اتصل بي منذ يومين، واعتذر مني عن غيابه الدائم، وأخبرني أنه يحبني، وأشياء أخرى، كنت فقط أريد أن أرسخ في عقله هذه الفكرة، إنه أعظم أب على الإطلاق".

يبتسم لها محبوبها، قائلًا:

ـ "أتعلمين؟ أنتِ محظوظة للغاية، لديك أبوان غاية في الجمال يعشقونكِ، المُهندس (كريم)، والخال (ياسر)".

تبتسم (ريم)، وتسأله قائلة:

ـ بالمناسبة يا (آدم)، أنت لم تخبرني شيئًا عن والدك من قبل، كُل ما أعرفه أنه متوفًّى، أخبرني عنه أكثر، كيف كان؟"

تختفي الابتسامة من وجهه، ويأخذ شهيقًا عميقًا، ويُخرجه زفيرًا ببطء، ويبدأ التحدث...

******

تجلس (فريدة) أمام مرآتها تتزين، وتدندن الأغاني بتلذذ، تسمع صوت رنين الجرس فتقوم مُهرولة كما لو كانت فتاة في العشرين، تفتح الباب وتقبض على قميص معشوقها، وتسحبه للداخل بتلهف كما لو كانت كلبَا جائعًا ألقيَ إليه بقطعة من اللحم، تُقبله بغنج، وتوهج، ولعابها يسيل على رقبته، وهو يقبّلها مُتشبثًا بخصرها، ويتحدث قائلًا:

ـ "متى ستعود (ريم)؟"

= "فلتحترق (ريم) بالخارج، أشبعني منك الآن".

قالتها وهي توصد القفل بسُرعة دون اهتمام، ثُم تسحبه من ياقته نحو الغرفة بعُنف مُقبلة وجهه من كُل جانب، وهو يبادلها القبلات هامسًا:

ـ "سنتزوج أمام الجميع، سننجب الأطفال، سيهتف الجميع باسمي، سأصبح رئيسًا لهذه البلاد، وأنتِ زوجتي!"

تتوقف هي عن تقبيله مُتسائلة، وهو يلتهمُها:

ـ "نتزوج! وأنجب وأنا على مشارف الخمسين! يهتف الجميع باسمك! رئيس؟!"

= "كُفّي عن الحديث، ودعيني أستمتع أيتها الباغية".

قهقهت (فريدة) لسماع ذلك، تاركة نفسها لتعيش أمتع اللحظات بداخل أحضان شقيقها، قبل أن تستيقظ على كابوسٍ لم يكن في الحسبان.

ـ "(ريم)، (ريم)، أين أنتِ يا حبيبة أبيك؟!"

كان هذا صوت المُهندس (كريم) آتيًا من الصالون، فأسرع العاشقان مُهرولَيْنِ لارتداء ملابسهما لكن الوقت لم يُسعفهما، ووجدا المُهندس (كريم) يقف أمامهما.

******

سألت (ريم) محبوبها عن والده، فتختفي الابتسامة من وجهه، ويأخذ شهيقًا عميقًا، ثُم يُخرجه زفيرًا ببطء، ويبدأ التحدث:

ـ "والدي كان رجلًا سيئًا للغاية، تحملت معه والدتي كثيرًا من العناء، حتى أنجبتني أنا وشقيقي، نعم، فأنا لديّ توأم لا يشبهني شكليًا، وكان يُدعَى (ياسين)، لم يتوقف والدي أبدًا عن احتساء الخمور، وشُرب المُخدرات، حتى جُنَّ تمامًا، واتهم والدتي بالخيانة، وقام بطلاقها، وأخذ شقيقي عنوة، وسافرا إلى السعودية، (يتنهد، ويرتشف قليلًا من المياه، ثُم يستكمل)، على رغم كُل ما فعله، فلم تتوقف والدتي عن إرسال الرسائل للاطمئنان عليه وعلى شقيقي، وهو لم يُجبها إطلاقًا، لم تتحمل والدتي أكثر من ذلك، وذهبت إلى القنصُلية السعودية بمصر، وأخبرتهم بكل شيء، وأنها فقط تريد الاطمئنان على ولدها، فقاموا هم بالبحث والتحريات، وأخبروها أن والدي قد تُوفي في حادثة سيارة نتيجة طيشه، أما عن شقيقي، فلم يعثروا على أحد بذلك الاسم في المملكة كُلّها، وحتى الآن لا نعلم أين هو إن كان حيًا!"

ربتت (ريم) بيديها على يديه، قائلة بأسف:

ـ "أنا آسفة للغاية يا حبيبي، آسفة بحق".

= "لا عليكِ يا حبيبتي، كان لا بد أن تعلمي بذلك".

ـ "هيا نأكل قبل أن يبرد الطعام، هيا افتح فمك".

قالتها وهي تدُسّ له قطعة من الدجاج في فمه.

******

أسرع العاشقان مُهرولين لارتداء ملابسهما، لكن الوقت لم يُسعفهما، ووجدا المُهندس (كريم) يقف أمامهما مُتصلبًا مُتفرّسًا فيهما بعينيه الجاحظة، وفكه السُفلي يرتعش دون إرادة منه، وكأنه أصيب بجلطة، وفي تلك اللاحظة خُيِّل إلى (عادل) أن أمره قد انتهى، وانتهت معه أ حلامه، فينقضُّ على المُهندس (كريم)، وهو ما زال عاريًا، طارحًا إياه أرضًا قابضًا بيديه على عُنُقه، في حين المُهندس يحاول إبعاده ودفعه قابضًا بيديه على عُنُقه هو الآخر، كُلٌّ منهما يحاول سلب الآخر حياتَه، أحدهما مدافعًا عن عِرضه، والآخر مُدافعًا عن خطيئته، يتقلبان على الأرض، وتنقلب معهما سيطرتهما على المعركة، فتارة (عادل) في الأعلى، وتارة (كريم) في الأعلى، أُجهِد (عادل) تمامًا واحمرت عيناه، وبدأت قبضته تلين، حتى سقطت يديه بجانبه على الأرض، لم يرأف به المُهندس (كريم) واستمر في الضغط بقوة، حتى جاءت (فريدة) بسكينٍ مُدبب طاعنة إياه من خلف رأسه، لتخرَج السكين من عُنُقه، وتخرج معها روحه، لم يكن بوسعها الوقوف ورؤية محبوبها يُحتضَر، فقررت تصحيح الأمور لتتناسب مع أهوائها.

ينهض (عادل) بتثاقل مُستندًا على كتف شقيقته ليجلس على المقعد، يتنفس مُستجمعًا قواه من جديد، يرتشف المياه في حين (فريدة) أحضرت له ثيابه ليرتديها، قائلة:

ـ "هيا، علينا التخلص منه قبل أن تأتي (ريم)، بسرعة".

يرتشف قليلًا من المياه ويقول:

ـ "سأحمل هذه الجثة العفنة للتخلص منها، وأنتِ امسحي الدماء، ورتّبي الأثاث كما كان، وتعاملي مع الأمر وكأنه ما زال مُسافرًا، ولا تعلمين عنه شيئًا منذ رحيله للعمل".

= "حسنًا، هيا الآن بسرعة".

******

عُقدت الجلسة الأولى لمحاكمة بعض المساجين، (هاني)، (يامن)، (سالم)، ذلك الأخير لديه من العُمر سبعة عشر عامًا، وجسده بدين للغاية، وقُبِض عليه؛ لممارسة أعمال الشغب في إحدى مباريات كرة القدم، هو في الحقيقة لم يكن مشاغبًا، بل أصدقاءه هم المشاغبون، لكنه لم يستطع الركض معهم، ووقع كبشُ فداء لهم، لكن القدر أنقذه، وجاءت هذه المحاكمة بنتائج مُبشرة للغاية بالنسبة إليه، وعلى النقيض تمامًا موقف (هاني)، فهو في حالة ميؤوس منها، أما (يامن) فمن الممكن إخلاء سبيله في الجلسة القادمة.

يجلس المساجين الثلاثة مُكبلين الأيادي بداخل سيارة - بوكس- الشرطة، وبجانبهم اثنان من أمناء الشرطة، وأربعة جنود؛ لتأمينهم في رحلة العودة إلى سجن القسم، وفي الأمام، بجانب السائق، يجلس الرائد (عبد الرحمن) يتحدث في هاتفه المحمول، وعلى المقعد الخلفي يجلس النقيب (أيمن)، فوجئ الضابطان والسائق بسيارة كبيرة لديها صندوق عملاق تقطع عليهم الطريق، واقفة أمامهم بطريقة أصابتهم بالاضطراب، يخرج من هذا الصندوق ثمانية رجال مُسلحين بالرشاشات والبنادق، يتنشرون بسرعة البرق حول سيارة الشرطة، مُطلقين العنان

لرصاصاتهم لقتل جمع عناصر الشرطة، وقد تمت هذه العملية في غضون دقيقة واحدة، أما السجناء في أماكنهم مُنبطحون، لا يعلمون ماذا يحدث، يقترب منهم رجل على مشارف الستين من عُمره، ينظر إليهم جميعًا، ويستقر بعينيه إلى (هاني)، يتحدث الأخير قائلًا:

ـ "(سعد)!"

= "هيا بسرعة، اهبطوا، هيا!"

ينزل المساجين الثلاثة من السيارة، في حين (سعد) يستدرك حديثه إلى (هاني) قائلًا:

ـ "خُذ، هذه مفاتيح السيارة التي تقف هناك، إنها جديدة، واتجه إلى ذلك العنوان المدّون في هذه الورقة، فلن يتم العثور عليك هناك، بداخل السيارة ستجد مسدسًا، لا تستخدمه إلا للضرورة، وستجد هاتفًا محمولًا، لا تحدثني فيه إلا إذا كان الأمر مميتًا".

قالها (سعد) واختفى من أمامهم، فأسرع (هاني) وأصدقاؤه بدون تفكير إلى السيارة؛ للذهاب إلى ذلك العنوان، حيث الأمان.

******

عثر أحد المارة على جثة المُهندس (كريم) مُلقاة وسط القمامة، فقام على الفور باستدعاء الشرطة والإسعاف، واستغرقت الشرطة عدة دقائق للتعرف على هويته، وقاموا باستدعاء زوجته وابنته للتعرف على الجثة.

تصعد (ريم) الدَرج المؤدي إلى المشرحة مُرتجفة خائفة، لا تُصدق أنها في طريقها للتعرف على جثة والدها، وخلفها والدتها تحاول اللحاق بها، وحين وصلتا إلى الطابق الثالث، وجدتا ضابطًا وطبيبًا بانتظارهما،

فيتحدث الضابط قائلًا لهما:

ـ "أهلًا وسهلًا، أنا النقيب (رامي سرور)، أريد منكما الالتزام بالهدوء وال...".

تصرخ فيه (ريم) مُقاطعة حديثه:

ـ "أين هو؟!!"

= "من فضلك يا آنسة اهدأي، تفضلا معي".

قالها مُشيراَ إليهما بالتقدم معه نحو الغرفة.

يقفون جميعًا أمام الجثه المُغطاة، تزداد ارتجافات (ريم) بشدة، وتضع يديها على فمها مُحاولة حبس دموعها التي لا تستجيب أبدًا للحبس، يضع الطبيب يده على الغطاء، وينظر إلى الضابط، يومئ الأخير برأسه نعم، فيزيح الطبيب الستار، ويكشف لهم عن وجه الضحية، فتقع (ريم) على الأرض مغشياَ عليها، لم يتحمل قلبها ذلك الكسر القوي، ولم يقدر عقلها تحمّل ذلك الألم ، فأخذها في غفوة عنوة رغمًا عنها بعيدًا عن الواقع الأليم، أما (فريدة) فتصرخ بحرقة شديدة وتلطم وجهها بقوة، حاول الضابط تهدئتها، والإمساك بها، والسيطرة على هياجها وصراخها، لكنها أفلتت منه لتحتضن زوجها العزيز، باكية ناعية رحيله الغالي، مُتسائلة في قرارة نفسها "كيف دخل إلى الشقة وقد أغلقت قفل الباب؟ تبًا لرعونتي فأنا حتمًا لم أُحكم إغلاقه جيدًا!" هذا وقد انتهت الأمور بأفضل صورة مُمكنة لها ولمعشوقها.

******

يجلس (شريف) على مقعده أمام مكتبه الخاص بداخل ڤيلته الكبيرة،

مُحتضنا (ميرنا) بيمينه من خصرها، وهي جالسة على فخذه الأيمن، مُرتدية ثياب شفافة للغاية، لا تستر شيئًا، وأمامهما يجلس (عادل) على استحياء، وكأن شيئًا لا يحدث، يتحدث (شريف) قائلًا:

ـ "لقد أنرت الڤيلا يا سيادة النائب".

= "إنه نور معاليك (شريف) بيه".

قالها (عادل) مُبتسمًا، ثُم ينظر إلى ابنته سائلًا:

ـ "هل تتركينا وحدنا قليلًا يا عزيزتي؟"

تنظر الفتاة إلى (شريف)، فيومئ لها برأسه "نعم"، قائلًا:

ـ "هيا حبيبتي اذهبي وجهزي غرفتنا حتى آتي إليكِ".

خرجت الفتاة من الغُرفة، فيستكمل والدها الحديث مُبتسمًا:

ـ "أعجبتك؟"

= "إنها رائعة، لقد عُدت خمسين عامًا للخلف بفضل جسدها الناعم الممشوق".

قالها (شريف) مُعطيًا صديقه كأسًا من الخمر، يرتشف منه (عادل) رشفة، ثُم يقول:

ـ "المهم الآن، أريد منك مليار جنيه، ويجب عليك البدء في تنفيذ ما اتفقنا عليه".

= "لا مشكلة في الأموال، لكني لا أفهم في الحقيقة كيف سيساعدك موت الماشية والأبقار في تحقيق ما تريد؟!"

ـ "يا (شريف) بيه، إذا أردت إغضاب شعبٍ بحق، فامنع عنهم الطعام والشراب، ف حين تقوم أنت المُسيطر على تجارة المواشي واللحوم في جميع أنحاء البلاد، بقتل جميع المواشي لديك ودفنها، حينها لن يجد التجار والجزّارون ما يبيعونه للناس، وستصبح قطعة اللحم بالنسبة إلى المواطن كنزاً يسعى للحصول عليه".

= "ولماذا أقتلهم؟ ألا يكفي الامتناع عن بيعها والاحتفاظ بها؟"

ـ "حينها الحكومة ستضغط عليك بشده للتنازل عن موقفك، وإعادة بيعها والتجارة فيها، وإذا اعترضت سيتحفظون عليها رغماً عنك، وأنا أعرف أنهم سينجحون في ذلك، كما أنك ستثير كثيراً من التساؤلات، فلماذا تمتنع عن البيع والتجارة؟ ماذا تستفيد من ذلك؟ وأنا أود أن تكون في موقف آمن من جميع الأسئلة، ولذلك يجب عليك قتلهم جميعًا، وكأن مرضًا ما أصابهم، وأودى بهم".

قالها (عادل)، وارتشف قليلًا من كأس الخمر، ثُم عاود الحديث سائلًا:

ـ "أخبرني، كم رأس تذبحها أو تبيعها في اليوم الواحد؟"

يستغرق (شريف) لحظات في التفكير، ثُم يُجيب قائلًا:

ـ "أنا لديّ وكلاء ومزارع في كُل مكان، تقريباَ تُذبَح أكثر من تسعة آلاف رأس يومياً".

يبتسم (عادل) بثقة مُشعلًا سيجارة، ويتحدث قائلًا:

ـ "هذا هو ما أتحدث عنه، فحين تقوم أنت بوقف التجارة والبيع بحجة موت جميع ماشيتك، سيضطر التجار الصغار إلى طرح مخزونهم بالكامل وبأسعار مرتفعة للغاية، وبعد أسبوعين على الأكثر لن يجدوا

شيئًا يبيعونه، فتحل اللحوم البيضاء السوق بأسعار مُضاعفة لأسعارها الحالية، كما أن اللحوم المُجمدة ستصبح أسعارها غير معقولة، سيجن جنون المواطنين حين يعجزون عن شراء الطعام، حين يجدون التفجيرات في كُل مكان، حين تنفجر القطارات بالرّكاب، حين تُقطع عنهم المياه بالأيام؛ نتيجة تلف محطات توليد المياه، حينها فقط، سيتجمهرون جميعًا، ويعتصمون في الشوارع والميادين رافعين شعار (الحياة الكريمة أو الموت)".

= "أنت سـ تقضي على ثقة المواطنين بحكومتهم، أنا أعرف جيدًا أهدافك وطموحاتك وسأساعدك، وكُل ما تريد سيحدث، لكن أخبرني، لماذا أساعدك؟ لماذا سأفعل ذلك من أجلك؟ ماذا ستُعطينني؟ أموال؟ بالتأكيد لا، فأنا من يدعمك ماديًّا، قصور؟ سيارات؟ أنا أمتلك كُل ذلك، هل ستعرض عليّ أحد المناصب مستقبلًا؟ أنا لا أحب الحياة السياسية، وأفضِّل الابتعاد عنها، ماذا ستعرض على عجوز في الثُمانين من عُمره مقابل خدماته التي لا يقدر أحد غيره تقديمها لك! هل (ميرنا) هي المقابل؟"

ـ "لا على الإطلاق، إنها فقط هدية صغيرة مني إلى صديقي ليس أكثر، وفي الحقيقة ليس لديّ ما أعرضه عليك، لكن دعني أسألك، ماذا تريد يا (شريف) بيه؟ ماذا تريد بحق؟"

يقتربِ منه (شريف) بوجهه ناظرًا في عينيه، ويتحدث بصوتٍ هادئ، مُبتسمًا:

ـ "أريد أن تشاركني الفراش بصحبة عشيقتي التي تنتظرني في الغُرفة الآن، هذا فقط ما أريد".

انطفأت سيجارة (عادل)، فيَشعل واحدة أخرى، ليدفس فيها ارتباكه، ويتحدث قائلًا:

ـ "أتريد أن نتشارك، ونتناوب عليها؟"

ـ "لقد أخطأت فهمي، أريد أنا أن أتناوب عليكما!!"

يُطفئ (عادل) السيجارة التي أشعلها منذ لحظات نافخًا الدخان بتوتر، يرتشف كأس الخمر إلى أخره، ثُم يتحدث قائلًا:

ـ "وما المانع إن كان ذلك سيَشعرك بالسعادة، فأنا في خدمتك مثلما أنت في خدمتي".

= "بكل تأكيد".

******

بعدما ذهب السجناء الثلاثة إلى الشقة، وجدوا كثيراً من الطعام والعصائر بداخل الثلاجة، فتناولوا الغداء، ثُم قام (هاني) مُغادراً للخارج، تاركًا (سالم) و(يامن) بمفردهما في الشقة، وقد حاول الأخير منع (هاني) من الخروج، فهذه مخاطرة شديدة، لكنه أصر على الخروج، مُدعياً أنه لن يعود إلى السجن مرة أخرى تحت أي ظرف، فجلس (يامن) يدخن السجائر، ويفكر ماذا سيفعل، لا يصدق كُل ما يحدث معه وأنه الآن مُجرم هارب من العدالة، يأخذه عقله للتفكير في محبوبته التي تلاعبت به وعشيقها، في حين (سالم) يجلس بعيدًا عنه، يبكي على ما آلت إليه الأمور، فهو تقريباً، وبنسبة كبيرة، كان سيَخلى سبيله من المحكمة بعد أربعة أيام، يدخل (هاني) الشقة ناظراً إليهم، يلتفت إليه (يامن)، قائلًا بغلظة:

ـ "أين كنت؟"

يُجيب (هاني) بهدوء:

ـ "اهدأ يا صديقي اهدأ!"

يقف (يامن)، قائلًا:

ـ "نحن هاربون من الشرطة، وهم يبحثون عنا في كُل مكان، وأنت تتعامل وكأنه لا يوجد شيء!"

= "لا يوجد وقت لنُضيعه هُنا في الخفاء، ألا تريد الانتقام مِمَّن تلاعبوا بك؟"

ـ "وهل هذا يعني أن نتصرف بعشوائية دون تخطيط؟"

يجلس (هاني) داعيًا صديقه للهدوء والجلوس، قائلًا:

ـ "اهدأ، واجلس، وأشعل لنا سيجارتين".

يجلس (يامن) مُعطيًا صديقه سيجارة، سائلًا:

ـ "أين ذهبت؟"

= "ذهبت إلى معرض السيارات، فوجدت (ياسر) و(سعد) كما هما دائمًا هناك، ثُم ذهبت إلى منزل شقيقتي الكبرى، فوجد عزاء، يبدو أن زوجها قد تُوفي، حاولت العثور على (عادل)، لكني لم أنجح في الوصول إليه، فهو يذهب إلى أماكن عديدة ومختلفة، ثُم ذهبت لمراقبة منزل أحد الأصدقاء لأعرف تحركاته".

ـ "كُل هذا في ساعتين فقط؟"

= "يا صديقي، أنا أسرع شخص يُنجز المهمات في هذه الدنيا".

قالها (هاني)، وانتبه إلى (سالم) الذي يبكي بمفرده بعيدًا، فيتحدث سائلًا:

ـ "لماذا يبكي هذا البدين؟"

= "يريد تسليم نفسه للشرطة".

قالها (يامن) بلا مُبالاة، فينظر إليهم (سالم) راجيًا:

ـ "أرجوكما اتركاني أسلم نفسي، فأنا ستتم تبرئتي في غضون أيام، أقسم لكما إنني لن أخبر أحدًا عنكما، سأقول إنكما ذهبتما وتركتماني، وإنني لا أعلم عنكما شيئًا، أرجوكما والداي كبار في العُمر، وكانا يزوراني في السجن، ويبكيان لما حدث معي، الآن لن يتحملا خبر هروبي من السجن، وأخشى أن يصيبهما مكروه أرجوكما، أقسم لكما لن أخبر أحدًا عنكما".

يخطو (هاني) ببطء تجاه (سالم) ليقف أمامه واضعًا يديه على كتفيه، قائلًا:

ـ "لا أعلم كيف أخبرك بذلك، لكني...".

يطعنه (هاني) بسكين في بطنه بسرعة وبدمٍ بارد، كان يُخبئ هذه السكين في كُم قميصه، ويستكمل قائلًا:

ـ "لكني كلما وثقت بأحدهم، يخونني".

يقع المُراهق على الأرض مرتجفًا، مُدرجًا بدمائه، قائلًا بتلعثُم:

ـ "أخبرا أمي أنني لم أهرب، أخبراها أنني لم أستحق السجن، أخبراها أنني لم أحب أحدًا مثلها".

= "من أين سنأتي لك بأُمِّكَ أيها البدين؟ اصمت ومِت في هدوء".

قالها (يامن) الجالس في مكانه دون تأثر، في حين (هاني) يجلس فوق

صدر ضحيته واضعًا ركبتيه على معصميه؛ ليمنعه من المُقاومة، يرفع السكين عاليًا ويقحمها في كتفه الأيمن، ويرفع السكين مجددًا ويقحمها في كتفه مرارًا وتكرارًا، غير مبالٍ بصراخ الفتى ونحيبه، يجز السكين في العظم بقوة، حتى فصل ذراعه الأيمن بالكامل من جسده، فيمسك ذلك الذراع، قائلًا لصديقه:

ـ "هل ستتناول معي العشاء؟"

= "بالتأكيد، لكن سأذهب أولًا بهذه الجثة لألقيها في أي مكان بعيد".

ـ "حسنًا، لكن تأكد من موته أولًا، وأنا سأذهب لشواء هذا الذراع السمين".

= "أين مفتاح السيارة؟"

ـ "ستجده على الطاولة أمامك".

******

بعد انتهاء العزاء، قامت (ريم)، ودخلت غرفتها، فيدخل خلفها محبوبها، يجلس بجانبها على الفراش، يُمسك يدها ويقبلها برقةً، فتقترب منه أكثر، وتضع رأسها على صدره مُطبقة جفنيها المُرهقين، وكأنها تختبئ بأعماق روحه؛ لتختفي بتفاصيله، فيتحدث هو قائلًا:

ـ "نامي حبيبتي وارتاحي، لقد أحرقتي قلبي اليوم حين كنتِ تبكين، وأنا ليس بمقدوري شيء أفعله أخفف به عن قلبك، فوالله لو أن الأمر بيدي، لنزعت ذلك الحزن من قلبك، ودفنته في قلبي، ولا أراكِ تبكين هكذا، أول مرة في حياتي أشعر بالعجز، والسبب هي دموع عينيكِ، حبيبتي أرجوكِ ادفني خوفك في روحي، أنا ملاذكِ الآمن.

قالها مُقبلًا رأسها برفق، ثُم وضعها على الوسادة لتنام، وهمّ بالذهاب ليتركها نائمة، فتناديه قائلة:

ـ "آدم".

يلتف إليها مُجيبًا:

ـ "نعم حبيبتي".

= "لا تتركني".

يعود إليها، ويجلس بجانبها مُتكئًا بظهره على الوسادة، فتضع هي رأسها مُجددًا على صدره، وتحتضنه بكلتا يديها قائلة:

ـ "لا تتركني، وامكث معي قليلًا".

يضع يده على رأسها، يداعب شعرها الناعم قائلًا:

ـ "أنا بجانبك دائمًا يا قلبي، حياتي وروحي ملكٌ لكِ يا (ريم)".

قالها (آدم)، ثُم وضع قُبلة طويلة على جبينها مُطبقًا جفنيه، فترفع هي رأسها لتُقابل شفتيه بشفتيها برقة وهدوء مُطبقة جفنيها مثله تمامًا، وكأنهما مسحوران، أو أنها من هؤلاء الناس الذين لا يسيطرون على أفعالهم حين ينكسرون، تحتضن رقبته بيديها مُختبئة في صدره، باحثةً عن الدفء في شفتيه، فيهمس هو في شفتيها، قائلًا "أحبك"، فتبتعد عنه قليلا، وتفتح عينيها قائلة "وأنت روحي، حياتي وقلبي، وكُل شيء يا (آدم)"، وتغلق عينيها مُجددًا، وتعود لشفتيه لتنسى أوجاع الزمان فيهما، ضاغطة على رأسه برفق، ليمتص رحيق شفتيها بهدوء، فيتجلَّى لهما الحُب، راكعًا مُسبحًا بقلبيهما، رافعًا راية (الاحتواء).

******

المُعجِزةُ المُستحيلة

ـ "هيا حبيبتي، استيقظي، الساعة تجاوزت التاسعة".

قالها (ياسر) لزوجته، حاملًا بين يديه الفطور، جالسًا بجانبها، وهي تلتفت إليه قائلة:

ـ "همم، صباح الخير يا حبيبي".

= "هيا حبيبتي، لقد أعددت وجبة الفطور".

تعتدل (سلمى)، وتجلس قائلة:

ـ "لماذا أرهقت نفسك يا حبيبي؟"

= "أنتِ هنا ملكة هذا المنزل وملكتي، وأنا هنا في خدمتك وخدمة أميري الذي بداخلك".

قالها وهو يُقبَل يُمناها برقة، فتقول هي بشيء من الدلع:

ـ "وما أدراك أنه فتى؟ إنها فتاة جميلة مثل والدتها".

يضحك زوجها، قائلًا:

ـ "حسنًا، وماذا ستطلقين عليها إذًا؟"

= "ما رأيك في (رُفيدة)؟"

ـ "ماذا يعني ذلك الاسم؟"

= "يعني أنها كثيرة العطاء، وتحب المساعدة، وشديدة الكرم".

ـ "إنه جميل جدًّا، لكني أعلم أنه ولد".

قالها وهو يضحك، واضعًا في فمها قطعة من الخبز بها كثير من الجُبن، وهي الأخرى تُطعمه في فمه، على رغم أنه في الخمسين من عُمره،

وهي تصغره بخمسة أعوام، وقد مرّ على زواجهما عشرون عامًا، فإن نار الحُب بينهما لم تهدأ قط، فمن قال إن الحُب يختفي بعد الزواج! إذا كان الحب صادقًا خالصًا لقلب المحبوب، فلن تنطفئ شمعته بعد عام أو اثنين أو عشرين من الزواج، فحين أخبرها ذات يوم أن الطبيب أخبره باستحالة إنجابه الأطفال، أخبرته هي أنه طفلها وزوجها في آن واحد، وأنها لا تريد إلا وجوده جانبها، هذا هو ما يسمى الحُب، فليست كُل علاقة تحوي طرفين، يُطلق عليها حُب، فالعلاقة إذا تغيرت بعد الزواج، فهو للأسف لم يكن حُبًا من البداية، بل كان إعجابًا فقط، ليس إلا.

بعد تناول الفطور، قام (ياسر)، وقبّل جبين زوجته، ثُم غادر إلى عمله تاركًا زوجته بمفردها، تأخذ (سلمى) هاتفها للاتصال على أحدهم، يُجيب ذلك المجهول قائلًا:

-ـ "اشتقت لكِ!"

= "لقد ذهب (ياسر) إلى العمل هيا لا تتأخر أنا بانتظارك!!"

******

يجلس (هاني) بجانب صديقه بداخل الشقة، يستمعان إلى الموسيقى الهادئة، أحدهما نائم على الأريكة، والآخر على الأرض، يتأملان السقف، لا يرمشا جفنيهما إلا قليلًا، وبين كُل حين والآخر يشعل أحدهما سيجارة، ويعطي واحدة للآخر، يتحدث (هاني)، قائلًا:

ـ "هل شعرتُ من قبل بالخوف مني يا صديقي؟"

يُجيب (يامن) مُتأملًا في الأعلى:

ـ "نعم".

= "هل أنا رجُل مُخيف؟"

ـ "لِمَن لا يعرفك، فأنت أقبح البشر على الإطلاق، أما الآن بالنسبة إليّ بعد أن رافقتك كثيراً، تيقنت أنك هنا فقط في عالم غير عالمك".

= "أتعلم أنك أول خليل أتخذه رفيقًا لي في حياتي!"

قالها (هاني)، واعتدل ليجلس على الأريكة، فيلتفت إليه (يامن) النائم على الأرض برأسه مُبتسماً، في حين صديقه يتابع الحديث قائلًا:

ـ "أنا حقًّا أحبك، وسأساعدك في النَّيل من هؤلاء الذين تلاعبوا بك من قبل".

قالها (هاني)، ثُم توجه إلى غُرفته، وعاد مُرتدياً ثياب الخروج قائلًا:

ـ "هل ستأتي معي؟"

يفزّ (يامن) من نومته، سائلًا:

ـ "إلى أين؟"

= "حين كُنت في السجن، وعدني أحدهم أنه سيَشرف على إعدامي بنفسه، ووعدته أنا بزيارة ملائكته الصغار بعد خروجي".

ـ "ليس الآن، لم يفت أسبوعان على هروبنا، وأنت تخرَج كُل يوم، وهذا خطر!"

= "ألا تتابع الأحداث؟ البلاد في حالة ثورة منذ عدة أيام، وحدثت عدة انفجارات، والشرطة لا تكترث لأمرنا الآن، وعلينا استغلال كل لحظة تمُر قبل فوات الأوان".

يصمت (يامن) قليلًا، ثُم يُجيب مغلوبًا على أمره:

ـ "حسنًا سآتي معك، على كُل حال يجب عليك تنفيذ وعدك، فإذا خالف الرجال وعودهم، ستصبح الدُنيا بلا أمان".

يذهب (يامن) برفقة صديقه إلى السيارة، وهو يُفكر في عديد من الأشياء، تبدو على ملامحه القلق، مثلما يبدو في عينيه الحنين، يغوص في بحر الخوف، ناظرًا إلى السماء، مُخاطبًا "أنا لا أعلم ما ينتظرني، فأعنِّي يا الله".

لم يشعر (يامن) بتوقف السيارة من كثرة تعمُقه في التفكير، يتحدث (هاني) قاطعًا الصمت:

ـ "ها هو المنزل، المكوّن من طابقين، لقد راقبته على مدار الأيام الخمسة الأخيرة، وذلك الضابط اللعين يأتي في أي وقت، ويغادر في أي وقت، لكنه غالبًا في هذا الوقت لا يكون في المنزل، سأصعد أنا إليهم، وأنت ابق هنا، وإذا رأيت أحدًا يدخل باب المنزل، اتصل بي فورًا لأُغادر".

= "لا، سآتي معك، سنبقى معًا حتى لا يصيبنا مكروه، نحن معًا أقوى".

ـ "لا تقلق بشأني، مكانك ه نا أهمّ، لا تنسَ ذلك، إذا رأيت أحدًا يدخل المنزل، أي أحد يدخل، بلّغني فورًا".

= "حسنًا، فلتُنجز المُهمة بنجاح".

يخرَج (هاني) من السيارة متوجهًا إلى المنزل، يصعد الدَّرج قاصدًا الطابق الثاني، الذي توجد بداخله أسرة المُقدم (يحيى)، المدام (سارة) وابنتها (ياسمين) ذات الثُما نية أعوام، جاهلتيْنِ ما ينتظرهما بعد

لحظات، يضغط (هاني) جرس الباب، فتُسرع (ياسمين) لفتحه ببهجةٍ وسعادة بروحها المملوءة طهارةً وبراءة:

ـ "أبي، لقد عاد أبي يا أمي".

قالتها الفتاة وهي تفتح الباب مُبتسمة، ليَقابلُها (هاني) بسكينه طاعنًا إياها في منتصف رقبتها، ويركُلها في صدرها بباطن قدمه، ساحبَا السكين من عنقها، لتقع الفتاة على الأرض، وتنفجر الدماء من شجها كنافورة عالية، تخرَج والدتها من المطبخ لتتفاجأ بابنتها هكذا، وذلك الغريب الواقف أمامها ممسكًا بسكين تتساقط منها قطرات الدماء، فصرخت صرخة مُدوية، اهتزت لها جبال الأرض، وبَكَت لها نجوم السماء وسُحبها، فيَخرِج (هاني) سلاحه الناري، ويُطلق عليها رصاصة، فتقع الأم مُصابة في كتفها الأيسر، ثُم يقترب منها (هاني)، ويدوس بحذائه على رقبتُها بقوةٍ، قائلًا:

ـ "هذا ليس شخصياً، فأنا لم أكن قاتلًا للنساء قط، أتمنى أن تُصدقيني!"

قالها مُصوباً سلاحه الناري على رأسها، وقبل أن يُطلق عليها رصاصته الثانية، وجد هاتفه يصدر رنينًا!

بعد ذهاب (هاني) مُباشرة إلى المنزل، فوجئ (يامن) وهو جالس بداخل السيارة مُمسكًا هاتفه بشرطي ممتطياً دراجةٍ نارية يقف بجانبه، طارقًا على زُجاج السيارة قائلًا:

ـ "أنت يا هذا، ماذا تفعل هنا؟"

ارتبكَ (يامن)، وأجاب مُتلعثُما:

ـ "أبدًا، لقد كُنتُ بحاجة إلى استنشاق بعض الهواء، وأنا الآن عائد إلى منزلي".

تعجبَ الشرطي، وقال مُستنكرًا:

ـ "البلاد في حالة فوضى، والتفجيرات في كُل مكان، وأنت تقف هنا لتستنشق الهواء! أمجنون أنت!، أرني بطاقة هويتك!"

يبتلع (يامن) لعابه، وقد جفّت المياه من فمه، لا يعرف ماذا يفعل، وقد اختلطت المشاعر، هل يُخبر الضابط بوجود حالة قتل في المنزل المُقابل، ويعود بعدها إلى السجن دون مُقابلة حبيبته، وهو لا يُريد شيئًا من الدُنيا إلا مُقابلتها، ولو سيموت بعدها، أم يتشاجر مع الضابط ويُحاول الهرب؟!

******

(عادل) بداخل مكتبه الخاص في ڤيلته، جالسًا يرتشف النبيذ الفاخر، وبين كُل حينٍ والآخر يستنشق عدة أنفاس من سيجاره البني الضخم، يُتابع الأخبار والأحداث عبر القنوات التليفزيونية، وينتقل من محطة إلى أخرى، فهذه المحطة تنقل تجمُعات المتظاهرين واعتصامهم من كل مكانٍ في البلاد، وهذه المحطة تسرد تفاصيل أخر الانفجارات، وهذه المحطة تستضيف أحد المُحللّين الاستراتيجيين لمُناقشة وتحليل الأحداث الجارية في البلاد، يُشاهد ويرتشف الخمر مسرورًا، وهو يشعر أن هدفه بات على بُعد خُطوة واحدة، يُمسك الهاتف ليتصل بشقيقته عبر ذلك الهاتف السريّ، فهوَ منذ مدة وجيزة قام بشراء شريحتين وهاتفين؛ ليتحدث مع شقيقته بحُرية، لأنه لا يثق إن كان هاتفه مُراقبًا أم لا، وسجّل الشريحتين بأسماء رجال يعرفهم، يعملون معه، ولا علاقة

لهم بالسياسة إطلاقًا، تُجيبه (فريدة) قائلة:

ـ "حبيبي".

= "اشتقتِ لي؟"

ـ "لقد مِتُّ في شوقي يا حبيبي، لماذا تهوى تعذيبي هكذا؟"

= "سنتقابل قريباَ يا حبيبتي، ما رأيك في الأحداث الجارية؟"

ـ "البلاد في حالة انهيار، ماذا يحدث؟"

يضحك بفخرٍ شديد قائلًا:

ـ "إنها مُجرد بداية فقط، أنصتي لي جيدًا، أريد منكِ شيئًا مهمًّا".

= "سأفعل ما تريد أيًا كان، فقط مرني".

ـ "حسنًا حبيبتي، اجمعي بطاقة هويتك وجواز سفرك وشهادة ميلادك وقسيمة زواجك، وأي شيء مذكور فيه اسمك، ولو كانت فاتورة مبيعات!"

تتعجب (فريدة)، قائلة:

ـ "حسنًا، لكن لماذا؟"

يستنشق نفسًا عميقًا من سيجاره الضخم، ويُجيب قائلًا:

ـ "سأقوم بتغيير هويتك، ومن ثُم استخراج أوراق أخرى باسمك الجديد وهويتك الجديدة، وبعدها سنتزوج!"

******

قبل أن يُطلق (هاني) رصاصته الثانية صوب (سارة) زوجة المُقدم يحيى، سَمِع صوت رنين هاتفه، فيُجيبه صديقه قائلًا:

ـ "هل يوجد أحد في طريقه إليّ؟"

يجيبه(يامن) بقوة وحزم قائلًا:

ـ "لقد قتلتُ ضابط شرطة للتو، هيا تعال بسرعة، بسرعة!"

= "هل قام هذا الضابط بطلب الدعم قبل قتله؟"

ـ "كفاك ثرثرة، الشرطة في طريقها".

يُسرع (هاني) خارجًا من المنزل، ليجد صديقه بانتظاره، يفتح (هاني) الباب، ويجلسِ بجانبه، لينطلق (يامن) بسرعة مُميتة في خوف واضطراب ناظرًا في المرآة باستمرار غير مُنتبه إلى المُنخفضات في طريقه، فيتحدث (هاني) قائلًا:

ـ "رويدًا رويدًا يا صديقي ماذا بك؟ لقد ابتعدنا تمامًا، ولا يوجد أحد حولنا".

لم يجِبه (يامن)، وهدأ من سرعته، وبدأ يتنفس الصعداء، فيتحدث (هاني) سائلًا:

ـ "ماذا حدث؟"

ينفث (يامن) الهواء في خوف وارتباك قائلًا:

ـ "لا أعرف من أين ظهر ذلك الضابط، فوجئتُ به يطرق زجاج السيارة، ويسألني عن بطاقة هويتي، ففتحت باب السيارة بقوة؛ ليصطدم به ويقع على الأرض ويطير سلاحه الناري بعيدًا، فانهلتُ عليه

بالضربات واللكمات حتى غاب عن الوعي، وجررته إلى خلف الأشجار التي بجانب الطريق، حتى لا يراه أحد، أما الدراجة النارية، فقد قُمت بركنها جيدًا حتى لا يظن أحد المارة بوجود أمرٍ مُريب، ثُم اتصلتُ بك لنذهب".

يصمت (هاني) رافعًا حاجبيه، ليتجعَّد جبينه، ويتحدث سائلًا:

ـ "ولماذا لم تُطلق عليه النيران حين وقع منه السلاح؟"

= "ألم تُلاحظ أن الحيّ هادئ للغاية! وأن صوت إطلاق الرصاص سيفزع الأهالي، ويجعلهم يتراصّون في الشُّرَفات لمعرفة ماذا يحدث!"

ـ "على أي حال، كان يجب عليك التأكد من موته، وأخذ سلاحه!"

= "لا أعلم إن كان قد مات أم إنه فقط غائب عن الوعي، والأسلحة البوليسية يُمكن تتبعها بسهولة، لذلك تركت السلاح معه كأن شيئًا لم يكن".

ـ "ألم يراكما أحد في أثناء العراك؟"

يضغط (يامن) على المكابح لتقف السيارة مكانها، ويندفع (هاني) للأمام بقوة، في حين (يامن) يجيبه بانفعال شديد اللهجة:

ـ "كُف عن الأسئلة، كُل شيء حدث سريعًا، ولم يكن هناك وقت للتأمل والتفكير، رُبما رآنا اثنان أو ثلاثة من سُكان الحي، رُبما قام هذا الضابط بطلب الدعم والمساعدة، لا أعلم".

يُخرج (هاني) عُلبة سجائره، ويستخرج اثنتين، ويُعطي واحدة لصديقه، قائلًا:

ـ "حسنًا يا صديقي اهدأ، لا عليك، فأنت أحسنت التعامل، أشعل هذه السيجارة واهدأ".

يضع (يامن) يده على جبينه، ويتنفس ببطء ليَهدئ من سرعة نبضات قلبه، ثُم يُشعل السيجارة سائلًا:

ـ "هل أتممت مهمتك؟"

يُجيب (هاني) في فخر وتعالٍ:

ـ "بكُل نظافة وهدوء".

******

(ياسر) يمُر بمرحلة مملوءة بالحُب والاستقرار بجانب زوجته، وخاصةً بعد حملها لطفلهما بداخلَها، فأصبحت هي محور اهتماماته وحياته، ولا يوجد شيء أكثر أهمية بالنسبة إليه من راحتها وصحتها وصحة طفلهما ، لكن هنالك غَصة في قلبه بسبب حالة (ريم) السيئة بعد وفاة والدها، يطمئن عليها هو وزوجته كُل يوم بعد عودته من العمل، ويداعبانها، ويمازحانها قليلًا، عسى أن يرتاح بالها، وتنسى جراحها.

يجلس (ياسر) بجانب والده الحاج (إسماعيل) في منزل الأخير للاطمئنان عليه، ومعر فة ما إذا كان بحاجة إلى شيء أم لا، فهو الوحيد بين أبنائه جميعًا المواظب على زيارته دائمًا، وذلك لنَيل رضاه، ليضع بذلك قدمًا في جنات مولاه، يتحدث الحاج بفطنةٍ وحصَافةٍ ناصحًا ولده:

ـ "انتبه لطريقك جيدًا هذه الأيام يا ولدي، واعتنِ بأسرتك جيدًا، فالفوضى مُنتشرة في كُل مكان".

= "لا تقلق يا أبي، فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين".

قالها (ياسر) بثقة وثبات، فيتحدث الحاج قائلًا:

ـ "أحسنت قولًا يا ولدي، لكن عليك الحذر ثُم الحذر، فالسجناء يستغلون الوضع المُضطرب الذي تعيشه البلاد، ويفرّون من السجن، وأخشى أن ينجح شقيقك في ذلك، وحينها سيكون خطرًا عليك وعلى أسرتك وإخوتك".

قالها الحاج، وكأنه لم يدفع ثُلثي ثروته لضمان هروب (هاني) من السجن!

يجيبه (ياسر) برزانة وهدوء:

ـ "لا تقلق يا أبي، واطمئن، فالقدر لا يُخبئ لنا إلا الخير".

يسعل الحاج، ثُم يبصق في منديله القماشي، في حين (ياسر) يبتسم، ويستكمل:

ـ "وقريبًا ستحمل حفيدك بين يديك".

يسعل الحاج بقوة مرة أخرى، فيقوم (ياسر) مفزوعًا قائلًا:

ـ "هل أنت بخير يا حاج؟"

يشير إليه الحاج برأسه نعم، وهو يقول:

ـ "أعطني الدواء فقط".

= "أين هو؟"

ـ "في الدولاب بجانب فراشي".

قالها الحاج وهو ينهج، ويبصق مُخاطه الغليظ في منديله القماشي، في حين (ياسر) يفتح الدولاب ويأخذ كيسًا مملوءًا بعديد من الأدوية، وقبل أن يُغادر، يُلاحظ عديدًا من الجوابات والأظرف القديمة التي عفا عليها الزمان بالأتربة، ينجذب إليها، ويأخذ واحدًا ليفتحه بحرص، ليجده جوابًا خاصًا بالضرائب، فيأخذ ظرفًا آخر، ويجد بداخله عقدًا يُفيد بيع عدة سيارات لإحدى الشركات، فيأخذ ظرفًا آخر، ويجد بداخله نتيجة تحليل وفحص طبي، قام به الحاج منذ أكثر من أربعين عامًا، انقبض قلبه دون سبب حين وقعت عيناه على تلك الورقة، وعلى رغم أن التحليل باللغة الإنجليزية، فإنه شَعَر أن هذه الكلمات مألوفة له!

ـ "(ياسر)، (ياسر)".

كان هذا صوت الحاج، فأسرع (ياسر) بوضع الورقة في جيبه قائلًا:

ـ "نعم يا حاج، أنا قادم إليك".

******

بعد مرور أكثر من ثلاثين يومًا على وفاة المُهندس (كريم)، نجح (آدم) في إقناع حبيبته بالخروج معه لاحتساء مشروب في الخارج، وها هما الآن جالسان قُبالة بعضهما، في أحد الأماكن الهادئة، ذات الطابع الرومانسي، يفتح (آدم) يديه على الطاولة أمامها؛ لتعطيه يديها، يمسكهما برفق، ويتحدث في لوعة وغرام، قائلًا:

ـ "حبيبتي، أنا أعلم جيدًا أن المرحلة المُنقضية كانت عصيبة للغاية، لكني أعلم أيضًا أنكِ قوية، أليس كذلك؟"

تومئ إليه برأسها نعم، فيستكمل هو قائلًا:

ـ "آسف لأني أُذكّرك بهذا، لكني أريدكِ أن تكوني صُلبة، فالحياة كُلّها عواصف وصدمات، وأريدكِ صلبة أمامَ أي عاصفةِ، ولا تذهبين مع رياحها، فتضيعين، أتفهمين ما أقول يا حبيبتي؟"

تربِّت على يديه بقوة، لترتجف يداه بداخل يديها المُرتعشة، وتتحدث في هوانٍ قائلة:

ـ "(آدم)، أنت لا تعلم شيئًا".

يتأمل (آدم) وجهها المُرهق، ويقبَل كلتا يديها بهدوء قائلًا:

ـ "تكلمي حبيبتي، واحكِ لي عما بداخلك".

تبتلع (ريم) لُعابها، وتتنفس في تردد، وتتحدث على استحياء قائلة:

ـ "أمي يا (آدم)، أمي تتصرف بغرابة شديدة، ولم تتأثر لحظةً بوفاة والدي، تستمع إلى الأغاني، وتُدندن معها، وتخرج مع أصدقائها كُلَّ يوم!"

يصمت (آدم) قليلًا، ثُم يتحدث بنبرةٍ خافتة، وكأنه غير مُقتنع بكلماتها:

ـ "لا أحد يعلم يا (حبيبتي) ما بداخلها وما تُعانيه، فربَما...".

تقاطعه (ريم)، قائلة باستنكار، وهي تومئ برأسها بالنفي، قائلة:

ـ "لا تُخبرني بمبررات، يوم وفاة والدي، بعد انتهاء العزاء، وبعد مغادرة الجميع، ارتدت فستانًا براقًا، وذهبت للسهر مع أصدقائها في الواحدة صباحًا، وعادت في الخامسة صباحًا!"

يشعر (آدم) بالعجز التام، ولا يعرف ماذا يقول، في حين هي تكمل

حديثها:

ـ "أتعرف ذلك الشعور حين تحتقر الفتاة والدتها؟! هذا ما أشعر به يا (آدم)، وحقًّا أنت وخالي (ياسر) و(سلمى)، أنتم عائلتي الحقيقية يا (آدم)".

يأخذ يمناها، ويقبَل خاتمها، ثُم كفها ببطء شديد، ناظرًا في صميم عينيها، قائلًا:

ـ "وقريبًا ستكون لنا عائلتنا الخاصة يا فتاتي".

تبتسم (ريم) على استحياء، وكأن البسمة تناست كيف الطريق إلى ثغرها، في حين هو يستكمل:

ـ "أحبكِ".

قالها غامزًا بجفنه الأيسر على طريقة العشاق القدامى، فتتسع ابتسامتها وقد أدركت البسمة السبيل إلى ثغرها، في حين (يامن) يجلس بداخل سيارته، يراقبهما على بُعد، مُحترقًا بين دموع عينيه، ونزيف قلبه.

******

يدخل (ياسر) عيادة الطبيب (أسامة ابو بكر)، مختص الأمراض التناسلية، وبعد السلام والتحية، يجلس (ياسر)، يتحدث الطبيب قائلًا:

ـ "أهلًا وسهلًا بحضرتك يا أستاذ ...".

= "(ياسر) يا دكتور (أسامة)".

ـ "أهلًا وسهلًا، كم عُمرك؟"

= "خمسون عامًا".

ـ "وما المشكلة؟"

يُخرج (ياسر) ورقة التحليل من جيبه، قائلًا:

ـ "في الحقيقة ليست لديّ مُشكلة، أريد فقط أن أعرف نتيجة هذا التحليل؟"

يأخذ الطبيب الورقة المُهترئة، قائلًا:

ـ "يبدو أنها قديمة للغاية!"

= "نعم، التاريخ مُدوّن بالأعلى، فهذا التحليل منذ أكثر من أربعين عامًا، إنه لوالدي".

ينظر الطبيب بتمعُن في الورقة لعدة لحظات، ثُم يضحك قائلًا:

ـ "من المحال أن يكون هذا التحليل لوالدك ياسيَدي".

يتوه (ياسر) تمامًا بين كلمات الطبيب، ويسأله، قائلًا:

ـ "لماذا تقول ذلك؟"

يضع الطبيب الورقة أمام (ياسر)، ويخلع نظارته الطبية، قائلًا:

ـ "صاحب هذا التحليل مُستحيل أن يُنجب!"

أجحفت عينا (ياسر)، واتسعت عائدًا بظهره للخلف، وقد شُلَّ لسانه عن النطق، وبعد ثوانٍ، يسأل مُتعلثُما:

ـ "وهل من المُمكن أن أرث منه ذلك الأمر، فأنا أيضًا لا أنجب؟"

يضحك الطبيب بشدة، قائلًا:

ـ "بالتأكيد تمزح يا أستاذ (ياسر)".

يقف (ياسر) قائلًا في غضب:

ـ "اسمعني أيها الطبيب، أنا لست مُتعلمًا، ولا أفقه شيئًا في تلك الأمور، فأرجوك، لا تسخر مني!"

= "اعذرني، لكني ظننتُك تمزح بحق، أعتذر منك أستاذ (ياسر)، لكن كيف لك أن ترث شيئًا من رجل لا ينجب!"

بدأ (ياسر) في التعرق مُتأثرًا بحرارته العالية، وينهار صموده أمام الطبيب، ويسأله مُجددًا:

ـ "أليس من المُمكن أن يُنجب ولو بنسبةٍ ضئيلة؟"

= "إذا حدث ذلك فهي مُعجزة لا وجود لها في الطب!"

يغادر (ياسر) العيادة بخطوات بطيئة، بخطوات رجُل مهزوم، متسائلًا "كيف حقق والدي المُعجزة أربع مرات؟!!"

******

تخلّصَ (هاني) من السيارة التي أعطاها له (سعد) من قبل، وذلك بعد إصرار (يامن) على ذلك، والآن هما جالسان جنبًا إلى جنب، يُدخنان السجائر كالعادة، يتحدث (هاني) سائلًا:

ـ "لماذا أصررتُ على التخلُص من السيارة الوحيدة التي نمتلكها؟"

= "أتتذكر ذلك الضابط الذي أبرحته ضربًا، هو بالتأكيد أخذ رقم السيارة ليتتبعها، لم أنتبه لذلك الأمر إلا أمس".

ـ "إذًا نحن الآن بحاجة إلى سيارة وأموال وذخيرة للسلاح".

قالها (هاني)، وهو يلتقط هاتفه من جانبه للاتصال بـ (سعد)، يُجيب الأخير قائلًا:

ـ "ماذا تريد؟"

= "مرحبًا (سعد)".

ـ "ماذا تريد، ألم أخبرك ألا تتواصل معي أيها الأحمق؟"

= "أرجوك تحدث معي بلباقةِ واحترام، أنا بحاجة إلى سيارةِ جديدةِ، ومائة رصاصة، و...".

يُقاطعه (سعد) قائلًا:

ـ "هل جُننت أم ماذا؟! تتحدث وكأنك تأمرني، اسمع أيها المغفل، لقد فعلتُ ما فعلت، وتقاضيت أجري لقاء ذلك وانتهى الأمر، لا تتحدث معي مُجددًا وإلا سأخبر الشرطة بمكانك".

قالها (سعد)، وانتهتِ المكالمة، فيأخذ (هاني) نفسًا عميقًا من سيجارته، قائلًا:

ـ "نحن البشر أسوأ شيء على هذا الكوكب، نتعجرف بشدة، وحين نعاني سكرات الموت، نبكي ونطلب السماح عما بَدَرَ منا، سأموت وأنا أحاول صنع التوازن في هذه الحياة".

يُريح (يامن) ظهره للخلف مُنفثًا الدخان في الهواء قائلًا بهدوء:

ـ "أتساءل إذا كان الضابط الذي أبرحته ضربًا قد مات وأصبح شهيدًا وجزاؤه الجنة، إذًا كيف سيكون جزائي أنا صانع الشهداء؟"

يلتفت إليه (هاني) ببطء قائلًا:

ـ لم أفكر في ذلك من قبل، لكن السؤال الحقيقي، ماذا إذا مُتنا، ووجدنا الحساب والجنة والنار؟"

يأخذ (يامن) زجاجة خمر موضوعة على مقربة منه، ويسكب القليل في الكأس أمامه قائلًا:

ـ "أعتقد أنه ليس لدينا فرصة في النجاة (يرتشف كأس الخمر، ويستكمل)، حسنًا علينا الاستمتاع بتلك التجربة الجديدة".

يعقد (هاني) حاجبيه قائلًا:

ـ "أي نوع من الجبابرة أنت؟! علينا طلب المغفرة، سألقي كامل اللوم على عقلي المريض، الذي لم أصنعه أنا!"

قالها (هاني)، وارتشف كأسًا من الخمر، ثُم تساءل قائلًا:

ـ "هل تحب الأحجيات؟"

= "ومن لا يحبها".

ـ "حسنًا سأقص عليك واحدة، رجُل ثري للغاية، تزوج من امرأة أكثر منه ثراءً، وأصغر منه بخمسة عشر عامًا، أنجبا فتاة جميلة، وبعد عشرين عامًا خُطِبتْ لشاب متواضع من أسرة بسيطة، أعجبت به والدة الفتاة وبصحته، وقد أصبح زوجها عاجزاً عن الجماع، فتركت زوجها، وذلك الشاب ترك خطيبته، وتزوجها، وبعد شهر من الزواج وجدوها مقتولة في منزلها، حين كان زوجها الشاب في العمل، فمن القاتل؟"

يُفكر (يامن) قليلًا، ثُم يُجيب:

ـ "من المُمكن زوجها السابق الذي تركته بعد كُل هذه السنوات؛ ليداوي بفعلته عجزه المؤلم، وأنت تعلم أن الموت أهون على الرجل من الشعور بهذا العجز، ومن الممكن زوجها الجديد ليرثها، ومن المُمكن الفتاة انتقامًا لدمار قلبها وخيانتهما لها!"

= "الإجابة تكمن في من هو المُستفيد من مقتلها، فلو كان زوجها السابق أو الفتاة أحدهما قاتلًا، فكان من الأولى قتل ذلك الشاب الذي دخل عليهم، ومزق عائلتهم، لكن المُستفيد من مقتلها هي وحدها ذلك الشاب، على كُلٍّ فالخائنون دائمًا قاتلون، إياك أن تنسى ذلك، الخائنون دائمًا قاتلون".

يشعل (يامن) سيجارة جديدة مُتسائلًا، وهو يُحدق أمامه إلى الفراغ:

ـ "وهل الخيانة تستحق كُل هذا العناء؟"

= "إنها أجمل شعور يشعر به الخائنون في حيواتهم، مثلها مثل الحَب والقتل، كُل شيء له متعته الخاصة، وفي خفاياه ألم مُرهق للنفس".

قالها (هاني)، وارتشف كأسًا من الخمر، وتبعه بنفس عميق من سيجارته، في حين (يامن) يتحدث سائلًا:

ـ "ألا تعتقد أنني إذا قُمت بالخيانة، فأنا بذلك أصنع الاختلال في عالم قد يكون مثاليًا؟"

يضحك (هاني) باستهزاء، قائلًا:

ـ "دعني أخبرك بشيء يا صديقي، نحن سكان هذا الكوكب ثُمانية مليار تقريبًا، فلنفترض أنه يحدث مائتان مليون حالة جماع كُل يوم، إذا أخذنا منهم واحد في المائة فقط علاقات غير شرعية كالزنا والخيانة،

سينتج لنا اثنان مليون علاقة غير شرعية في اليوم الواحد، وإذا أخذنا منهم نسبة واحد في المائة فقط يحدث لديهم حمل، سينتج لنا عشرون ألف طفلٍ ابن زنا في اليوم الواحد، هذا وأنا أفترض أقل النسب على الإطلاق، والنتيجة عشرون ألف طفل ابن حرام يُنجبَون في اليوم الواحد، وأنت هنا تحدثني عن مثالية المُجتمع!!"

يتأمل (يامن) كأس الخمر مُفكرًا بتمعن، ويتحدث مُستنكرًا:

ـ "ولماذا افترضت مائتي مليون حالة تحدث في العالم كُل يوم، إنها نسبة مُرتفعة للغاية".

يضحك (هاني) مُقهقهًا حتى يلفظ بضع قطراتٍ من الخمر بداخل فمه، ثُم يبتلعها بصعوبة، ويسعل ضاحكًا بشدة، وهو يقول:

ـ "هؤلاء المائتان مليون حالة، تحدث يوميًا لدى العرب فقط، أو في الهند فقط، أو في آسيا فقط، دعنا لا نتحدث عن النسب الحقيقية، حتى لا تصاب بالإحباط".

******

الـحـقـيـقـــة

قام (عادل) بشراء ڤيلا جديدة بدلًا من القديمة، التي كانت واسعة للغاية، إلا أنه دائمًا يُحب التباهي بالأمور المادية، ينام عاريًا على الفراش الحريري، يُدخن سيجاره العملاق بيسراه، وبجانبه محبوبته نائمة على كتفه الأيمن، تتحدث قائلة:

ــ "لماذا اشتريت هذه الڤيلا، لم يكن لها داعٍ".

= "حتى نُقيم فيها حفل زفافنا، ونقضي بها أيامنا الأولى".

تنظر إليه (فريدة) واضعة رأسها على يديها المُطبقة على صدره، قائلة:

ــ "حبيبي، أنا أثق بك، وأعرف جيدًا أنك قادر على فعل أي شيء، لكن كيف سيحدث ذلك؟"

يضحك عادل بثقة مُنفثًا دُخان سيجاره الضخم في الهواء، وهو يلتقط ظرفًا متوسط الطول من على المنضدة المجاورة، ويعطيه لها قائلًا:

ــ "هذه هويتك الجديدة يا حبيبتي (شيرين السيد اليمني)، سيدة أعمال مصرية مُقيمة بكندا منذ عشرين عامًا، وعادت إلى مصر منذ عام، ستجدين عندكِ بطاقة هويتك الجديدة وجواز سفرك".

تأخذ (فريدة) الظ رف، وتفتحه غير مُصدقة ما يقوله، وهو يستكمل قائلًا:

ــ "عليكِ أن تنتبهِ جيدًا، وتتناسِ تمامًا أمر (فريدة)، فهي الآن امرأة مُتوفاة منذ ثلاث سنوات".

تبتسم (فريدة)، وشفتاها مُبتعدتان عن بعضهما من هول الفرحة، وتتحدث قائلة:

ـ "كيف فعلت كُل ذلك؟"

يُجيبها بتعالٍ وكِبر قائلًا:

ـ "ألم تقولِي بنفسك إنني قادر على فعل أي شيء؟"

= "المصالح الحكومية مُغلقة، كيف فعلت كُل هذا؟!"

يُجيبها بنفس التعالي قائلًا:

ـ "أعواني في كُل مكان، يتمنون فقطِ أن آمرهم ليَنفذوا، ولا يوجد شيء في الحياة لا أستطيع فعله".

بثت هذه الكلمات السعادة والسرور في قلب شقيقته، فأخرجت كمّ سعادتِها على شفتيه مُلتهمة إياها بشفتيها بعنف، وهو يضحك مُعتصرًا خصرها بيديه، ليغوصا بعدها في بِركة العُهر، مُستمتعان بالحُرَمات، تئنُ ضاحكة باصقة في وجهه، فيصفعها قابضًا على عُنقها راميًا حممه في أحشائها، وقد صار لها خيلًا وهي تمتطيه كالفارس المغوارَ، تجذب رقبته كاللجام بلا رحمة، فيَسرع الخيل ركضًا مُطلقًا صهيلًا غير مُنقطع بجنون طائر في السماء بين السحاب، يتوقف بهما الزمان ثوانِي معدودات قبل أن يسقُطا مُجددًا للواقع على الفراش، وقد انتهيا تمامًا، يُقبَلِها محبوبها ويذهب للاغتسال، فيأخذها الفضول، لتكتشف ما في سُترته، فلَم تجد إلا بعض الأموال، وعدة أوراق مجهولة بالنسبة إليها، وجواز سفر لرجُل يُدعى (مُصطفى)، وأربع شرائح للهاتف المحمول، يعود إليها عاريًا قائلًا:

ـ "أتعبثين بأشيائي؟"

= "نعم، وهل لديك اعتراض؟"

يُلقي المنشفة من يده، وينقضُّ عليها قائلًا:

ـ "يبدو أنكِ بحاجة إلى التربية".

تحتضنه ضاحكة، ليبدءا معًا من جديد جولة أخرى في قاع العُهر والفجور.

******

ارتدت (ريم) ثيابها، واتجهت لزيارة حبيبها المريض منذ يومين، وعلى رغم أنه في المجتمع الشرقي لا يليق بالفتاة زيارة خطيبها في منزله بمفردها، فإنها تفعل ما يُمليه عليها قلبها باسم الحُب الجميل.

تطرَق على الباب ثلاث طرقات، فتفتح (والدة آدم) الباب قائلة:

ـ "أهلًا، أهلًا وسهلًا يا حبيبتي، تفضلي بالدخول".

تحتضنها (ريم) قائلة:

ـ "يزيد فضلك يا أمي، كيف أحوالك؟"

تجلس (والدة آدم) قائلة:

ـ "أنا بخير حالٍ يا ابنتي الحمد لله".

يخرَج (آدم) من غرفته قائلًا:

ـ "لماذا أتعبتِ نفسك بالقدوم يا حبيبتي؟"

ترد (ريم) عليه، وكأنها تعلم أنه ليس مريضًا، قائلة:

ـ "لقد قلقتُ عليكَ للغاية، هيا بدّل ثيابك، لنخرَج معًا".

يضحك (آدم) قائلًا:

ـ "حسنًا أمهليني خمس دقائق فقط".

في خلال الخمس دقائق، تبادلت (ريم) أطراف الحديث مع والدة محبوبها، حتى جاء (آدم)، وأخذها لاحتساء العصير في ذلك المكان المحبب لهما، ذات الموسيقى الهادئة، والإضاءة الخافتة، تتحدث محبوبته قائلة:

ـ "ماذا بكَ يا حبيبي؟"

يُجيب (آدم) مُتعلثُما:

ـ "أنا بخير يا حبيبتي، كما ترين".

تنظر إليه نظرة المُحقق للجاني في أثناء الاستجواب، قائلة:

ـ "حسنًا، ولماذا لم تذهب للعمل منذ يومين، فقد عُينتَ في هذه الشركة مُنذ أسبوع فقط، ويجب ألا تتغيب كثيراً هكذا في البداية، (آدم) أنا أعلم جيدًا أن هنالك شيئًا".

يصمت (آدم) خائفًا أن يتحدث، فيَثير قلقها، وخائفًا أن يكذب، فتكتشف أمره، فتربت على يده برفقٍ قائلة:

ـ "لماذا لا تريد إخباري يا حبيبي، ألست أنا روحك التي لا تخفي عنها شيئًا؟"

يتنهد (آدم) بعد أن ازداد توتره قائلًا:

ـ "كما تعلمين، أنا أعمل في شركة التسويق العقاري منذ أسبوع فقط، بعد انتهائنا من الامتحانات مباشرة".

= "حسنًا، وماذا بعد؟"

ـ "لقد وقعتُ في مُشكلةٍ عصيبة، وسأُسجَن!"

تشهق (ريم) قائلة:

ـ "ماذا؟!"

يستكمل (آدم) قائلًا:

ـ "كان معي عدة أوراق لثلاث وحدات سكنية مُختلفين في المساحة والثُمن، وقمت ببيع إحدى هذه الوحدات بسعر واحدة أخرى أقل منها في السعر، وحين عُدت إلى الشركة، اكتشفوا ذلك الخطأ، فعدتُ إلى العميل وأخبرته بالأمر، فأخبرني أنه لن يدفع إلا المبلغ المُدوَّن في العقد الذي قمت أنا وهو بالإمضاء عليه، وأنا الآن مُطالب بدفع ذلك الفارق بأي طريقة، وقد أخبرني مُدير الشركة أنه سيَمهلني حتى أخر الأسبوع، وبعدها سيلجأ إلى القضاء".

تصمت (ريم) قليلًا، لا تعرف ماذا تقول، ثُم تسأله قائلة:

ـ "كم المبلغ؟"

ينظر (آدم) إليها بعينين مُجهدتين، قائلًا:

ـ "ثلاثُمائة ألف جِنيه".

أخذت (ريم) الصدمة، وعاشت فيها لحظات، ثُم انتبهت أنها الآن تُزيد من قلقه، فتتصنع الابتسامة قائلة بثباتِ مهزوز:

ـ "لا عليك يا حبيبي، كُلّنا نُخطئ، سندبر ذلك المبلغ لا تقلق".

يتحدث (آدم) مُتأسفًا على حاله بملامح جامدةٍ:

ـ "لقد انعدم الضمير تمامًا في هذه الدُنيا، كيف لرجل أن يقبل بذلك،

ويضعني في ذلك الموقف، إما دفع مبلغ ليس بمقدرتي دفعه، وإما السجن، وهذا كله نتيجة خطأ غير مقصود، لهذه الدرجة أصبحت الأموال تسود العالم وتسيطر على قلوب البشر!"

= "هوِّن عليك يا حبيبي، ولا تقلق، سندبر ذلك المبلغ، أعدك بذلك".

قالتها (ريم) في محاولة فاشلة للتخفيف من ألمه.

******

أسبوع كامل من التشويش والاضطراب مَرّ على (ياسر)، لا يعرف كيف يواجه والده، يسير بخطوات بطيئة يملأها الخوف والحيرة، مُتجهًا إلى والده مُتمنيًا ألا يصل أبدًا، فوجد نفسه أمام باب الشقة، يطرق على الباب ثلاث طرقات، بين كُل واحدة والأخرى عدة ثوانٍ، يفتح الحاج الباب جالسًا على مقعده المتحرك، وهو يقول:

ـ "كيف أحوالك يا بُني؟"

يدخل (ياسر) صامتًا، ويجلس بملامح جامدة، فيتحدث الحاج سائلًا:

ـ "هل أنت بخير يا عزيزي؟"

يُخرج (ياسر) ورقة التحليل، ويعطيها لوالده سائلًا بصلابة وصوتٍ قوي:

ـ "ما هذا؟"

يأخذ الحاج الورقة، ويفتحها بيديه المُرتعشتين نتيجة تلف أعصابه، ويتحدث مُستنكرًا:

ـ "لا أعرف، ما هذا؟"

يتنفس (ياسر) كاتمًا غضبه بين أنفاسه، قائلًا:

ـ "أبي، لديك من العُمر ثمانون عامًا، إذا كان هنالك سرّ أخفيته طيلة هذه الأعوام، فحان الوقت لتتكلم!"

يُلقي الحاج الورقة على الأرض، قائلًا:

ـ "سِرّ! ماذا تقول أنت؟!"

= "كفاك كذبًا! كيف أنجبت أربعة أبناء وأنت لا تستطيع الإنجاب؟!"

قالها (ياسر) واقفًا بنبرة صوت عالية مملوءة بالغضب، فيقترب الحاج منه بنصفه الأعلى، ويبتسم، لتزداد تجاعيد وجه المُخيف رادًّا عليه في هدوء:

ـ "حسنًا، لتسأل العاهرة التي أنجبتك!"

صُعِقَ (ياسر) من إجابة والده، وأصيب بالتشويش، فخُيِّل إليه أن السقف ينهار، والأثاث يتطاير من حوله، لكنه ما زال يقف على قدمه كالجندي المهزوم الذي يأبَى الركوع، ويسأل قائلًا في هدوء:

ـ "أنت لست والدي؟"

= "يا لك من غبي حقًّا، بعد موت أمك تزوجت من أخرى ولم تُنجب، فذهبنا إلى الطبيب، وأخبرني أنني لا أنجب، فالعاهرة كانت تنسب لي أطفالًا ليسوا مِني عامًا تلو الآخر!"

يختنق (ياسر) بالدموع العالقةُ في عُنقه، في حين الحاج يكمل ساخرًا:

ـ "لتعلم يا بُني، أنني أخرجتُك من التعليم في صغرك؛ لتعمل بيدك، وتكتسب مهارات أخرى، ليس لأجعل منك جاهلًا، كُنت أرى (عادل) في فراش شقيقتكم تحت الفراش ليلًا، لأنها فتاة مُضطربة بحاجة إلى

الاطمئنان فقط، ألقيتُ (هاني) في الغرفة المُظلمة لأنه مراوغ، يُحب اللعب وبحاجة إلى بعض الشدة، ثُم ألقيته في الشوارع؛ ليتعلم الصمود والقوة، ليس ليكون سفاحًا معتوهًا، وقد مولّتُ هروبه من السجن، لأنه ولدي الصغير المحبوب، وليس ليذبحكم جميعًا!!"

قالها الحاج، وهو يسعل، ويبصق على الأرض أمام (ياسر)، الذي تسمر مكانه، يومئ بالنفي تلقائيًا، والدموع تمشي بتأنٍ وبُطء على خديه، ويهمس بصوتٍ مبحوح مُتحشرج قائلًا:

ـ "أنت لست إنسانًا".

= "اخرج من منزلي أيها الغبي الأحمق، اخرج من هنا!"

قالها الحاج واهتز معه المقعد من قوة نبرته الغليظة، فيعود (ياسر) بظهره صوبَ الباب بخطوات بطيئة، ليخرج منه بلا رجعة، وقلبه يئن وجعًا مُتحسرًا على ما فات وما مَضَى، وانقضى باكيًا على حقيقته وما جَرَى، ولمّ ا نال منه الحزن، مَكثَ على جانب الطريق كما مَكثَ الغم في قلبه، مُنهمرًا في دموعه، مُدرجًا في جراحه، مُغدقًا في نُوَاحه.

******

في تمام الثانية عشرة مساءً، يجلس (سعد) بداخل معرض السيارات، وبين شفتيه سيجارة، يتنفس من خلالها الدخان، وبين يديه مجموعة من الأموال، يعد ويحصي الأرباح القليلة التي جناها في هذا الأسبوع، لا توجد أرباح تقريبًا، فمن سيذهب لشراء سيارة جديدة، أو يستبدل بسيارته القديمة واحدة جديدة في ظل هذه الأحداث العصيبة التي تمُر بها البلاد، يُفاجأ وهو جالس بـ (هاني)، يقفل باب المعرض خلفه، ويتقدم نحوه، فيقف (سعد) صارخًا:

ـ "ماذا تفعل هنا أيها الوغد المجنون؟"

لم يجِبه (هاني)، واستمر بالتقدم نحوه مُبتسمًا، فيَمسك (سعد) مطفأة السجائر التي أمامه، ويلقيها عليه قائلًا:

ـ "اخرج من هنا أيها المُغتصب المعتوه!"

يقف (هاني) أمامه مباشرة، مُحدقًا إليه، قائلًا بتهكم:

ـ " مُغتصب! أتعلم كيف جرحتني الآن؟!"

ينظر (سعد) مُتعجبًا، وبدأ الخوف يتسلل إلى قلبه، في حين (هاني) يسحب بأصابعه السكين المُخبئة في كُم قميصه، ويبادله نظرات التعجب، وبسرعة شديدة يُقحم السكين في رقبته من الأعلى لتخترق لسانه، وتعبر من فمه لتخترق المُخ، فيقع الضحية على ظهره رغمًا عنه فاقدًا حياته، يتحدث (هاني) قائلًا:

ـ "عليك أن تحدثني باحترام في المرة القادمة".

قالها بعد أن أخذ جميع الأموال الموجودة، ثُم استدار ينظر إلى السيارات من خلفه ليختار واحدة، يعود بها إلى مخبئه.

******

استُدعَى جميع أعضاء مجلس النواب عاجلًا؛ لمناقشة الأحداث الجارية في البلاد، لمحاولة حل الأزمة، وعبور هذه المرحلة الحرجة التي تمُر بها البلاد، والآن يقف (عادل) قائلًا بصوت عالٍ مملوء بالثقة:

ـ "بسم الله الرحمن الرحيم، حضرات السادة الكرام، اسمحوا لي أن أتحدث بلسان كل شباب بلدي وفئاته المُختلفة حين أقول كفى، كفى، كفى من الظلم والقهر، كفى من الجوع والقمع، كفى من الخوف

والموت، أطالب جميع المسؤولين بتنفيذ مطالب الشعب المتمثلة في الحياة الكريمة الآمنة، أطالب بإسقاط النظام حفاظًا على دماء أولادنا، ومن هنا أعلن استقالتي كنائب بمجلس النواب، فلا يشرفني أن أكون عضواَ فاسدًا من أعضاء النظام في تلك المنظومة الفاسدة، وأعلن انضمامي لصفوف الشعب، والثورة الشعبية، ولن نتراجع عن موقفنا حتى تتحقق مطالبنا البسيطة، فإما الحياة الكريمة، وإما الموت في سبيل الحرية".

قالها وغادر المجلس أمام أعين الجماهير المُشاهدين عبر التلفاز، لتزداد حماستهم، وتشتعل ذُروة الثورة التي كان هو سببها.

******

ينام (ياسر) على فخذ زوجته كالطفل الصغير المُختبئ في ظلال أمه بعدما نال منه الحزن، روى لها كُل شيء حدث بينه وبين الحاج، وأخبرها أنه لن يذهب مُجددًا للعمل في المعرض، وسيبحث عن عمل آخر، تنظر هي إليه، وتداعب شعره الأبيض بأصابعها قائلة:

ــ "لم أشعر قطًا أنك مُتعب مثل الآن".

يُجيبها بنبرته المنكسرة قائلًا:

ــ "لا أصدق أي كلمة قالها، كيف سوّلت له نفسه أن يُدمرنا بهذه الطريقة، حتى لو كانت والد تي سيئة وفاسقة، فما ذنبنا نحنُ؟"

= "ما قاله بشأن (عادل) و (فريدة) أمر لا يُصدَّق".

ــ "وما فعله مع (هاني) ومعي، لقد زرع الهوس والجنون في (هاني)، والجهل والحرمان فِي، والطغيان والاستبداد في (عادل)، والعُهر والخيانة

في (فريدة)".

قالها وتنهد مُتألمًا، فتُقبَل زوجته جبينه قائلة:

ـ "هوِّن على نفسك يا حبي...آه!"

لم تُكمل كلماتُها، وتأوهت مُتوجعة، فانفزع محبوبها قائلًا:

ـ "ماذا بكِ؟"

تبتسم له قائلة برقة:

ـ "ابنتك تركلني في بطني".

لانَت ملامحه، وقد انفرج ثغره عن ابتسامةٍ خفيفة مُقبلًا بطنها، وهو يقول:

ـ "بارك الله لي فيكما، وحفظكما من كل سوء".

تبتسم له بعينها الدافئة، داعية مولاها أن يحفظه لها من كل شر قائلة:

= "ويحفظك لنا...آه...آه!"

ينظر إليها بتهكم، ظنًا منه أنها تعبث معه مُجددًا، فتصرخ فيه قائلة:

ـ "آه، لستُ قادرة أغيثني... آه!"

هلع (ياسر)، وقد أدرك أن هنالك خطب ما، فحمَلها على ذراعيه مُسرعًا إلى سيارته، لينقلها إلى المُستشفى.

******

تجلس (ريم) قبالة محبوبها في ذلك المكان المحبب لديهما، المُتميز بالهدوء والإضاءة الخافتة، عيناه مُجهدان للغاية، وتشكلت حولهما هالة داكنة؛ من قلة النوم والحزنُ الكامن بقلبه ودمائه، وبدأ يُفكر "ماذا سأفعل، أغادر المحافظة وأختفي حتى لا أقضي شباب عُمري في السجن، أم أستسلم للواقع، وأنتظر الحُكم بالسجن"؟! ثُم ينظر إلى السماء، والدموع تتلألأ في عينيه على أمل لا وجود له، يستفيق من خيالاته على صوت محبوبته:

ـ "أنا أعلم أنك مُتعب، وغير قادر على الخروج، لكني أصررت على الخروج؛ لأعطيك هذا وأرى الضحكة تُزين وجهك يا حبيبي".

قالتها وهي تُعطيه حقيبة متوسطة الحجم، تُشبه الصندوق المُستطيل، فيأخذها بتردد سائلًا:

ـ "ما هذا؟"

= "إنها ثلاثمائة ألف جنيه، قمت بسحبها صباحًا من الب...".

يقاطعها (آدم) مُنفعلًا:

ـ "أجننتِ يا (ريم)؟"

ترد على انفعاله بنبرة حنونة قائلة:

ـ "ليس بعد".

يأخذ (آدم) مفاتيحه الموضوعة أمامه ويقف مُغادرًا قائلًا:

ـ "هذا ليس وقت المُزاح".

تستوقفه (ريم) مُمسكةً يده قائله:

ـ "حسنًا، حسنًا، اجلس ودعنا نتناقش".

يجلس (آدم) بوجه عابس وهي تستكمل حديثها قائلة:

ـ "أجبني يا (آدم)، هل هناك فارق بيننا؟"

يتنهد، ثُم يُجيب قائلًا:

ـ "لا يا (ريم)، لا يوجد بيننا أي فارق، لكن واجبي عليكِ أن أحافظ عليكِ وعلى أموالك، لا أسلبكِ إياها".

تُجيبه بسرعة وجدية، وقد تركت البسمة شفتيها، وكأنها توقعت كلماته من قبل:

ـ "وهل تريد مني أن أراك مُجهدًا ومتعبًا، وأقف أشاهدك وأنت على وشك الدخول في قضية خاسرة ستُسجن فيها؟! (آدم)، أنت روحي، وإن كان خلاص روحك في روحي، فهي لك".

يسود الصمت، ليبدأ حديث العيون، وبعدما سيطرت عليه بكلماتها، ها هي تُحكم قبضتها عليه بعينيها الواسعة، ونظراتها الآسرة، فوقع هو تحت حصارها مُستسلمًا، على رغم ذلك الصوت الداخلي النابع من نفسه العزيزة، الذي يمنعه من أخذ هذه الأموال، فتربت على يديه بقوة، وبنبرتها الحنونة تقول:

ـ "ألست أنا روحك التي تعيش من أجلها، وبها أنت تتنفس! ألست أنا ملاذك الآمن الذي يحتويك؟!"

يومئ برأسه نعم، شاردًا في عينيها، وكأنها أطلقت سحرها بضغطة زر؛ ليصاب الضحية بالهوس، ويبقى مسحورًا على قيد عينيها، ويزداد

الضعيف عشقًا فوق العشق عشقًا؛ ليَتيَم قلبه عنوة رغمًا عنه بروحها، يحُبها إمتلاكًا وتملُكًا وكمالًا، ويغارُ عليها تعصبًا وتجنُنًا وحنانًا، ليحيا على نبضها عاشقًا ولهانًا، ليبقى له قلبها ملاذًا آمنًا وسلامًا.

******

بعد كلماته أمام الجميع في مجلس النواب، أصبح (عادل) بطلًا شعبيًا في أعين عديد من الثوار والمُعتصمين، خطته التي رسمها تسير أفضل مما كان مُتوقعًا، لا يبالي بموت أبناء شعبه، ولا بدمار حيواتهم، كالخنزير البري، يأكل صغاره؛ ليشبع جوعه، ويشرب دماءهم؛ ليروي ظمأه.

يستقبله (شريف) في مكتبه مُرتديًا ثوبًا من الحرير قائلًا:

ــ "أهلًا، أهلًا (عادل) بيه، الآن يُمكننا قول مبروك؟"

يضحك (عادل)، وهو يجلس قائلًا:

ــ "ليس بعد يا (شريف) بيه، فما زال للأمر بقية".

يُعطيه (شريف) سيجارًا عملاقًا قائلًا:

ــ "يا رجل، لقد قُضِيَ الأمر، وفي غضون أيام سيتحقق المُراد".

قالها بابتسامة خبيثة، فيضحك (عادل) مُشعلًا سيجاره الضخم من يد صديقه، واضعًا قدمًا فوق الأخرى، في حين يتحدث (شريف) قائلًا:

ــ "لقد جاءت الشرطة للتحقيق معي، كانوا يظنون أنني أحتجز المواشي لرفع أسعارها بعد ذلك".

= "وماذا فعلت؟"

ـ "أخبرتهم أن المواشي ماتت، بعد أن أصابها مرض مجهول، واصطحبتهم إلى المزارع، ليروها فارغة".

= "لم يظنوا أنك سممتها؟"

ـ "يظنون أو لا، لن يختلف الأمر، ولا يوجد دليل على أي شيء".

قالها شريف، وهو يسكب الخمر في الكأسين أمامهما، ويتحدث (عادل) قائلًا:

ـ "زفافي يوم الخميس القادم".

قالها مُعطيًا صديقه دعوة الحضور، فيُجيب الأخير قائلًا بدهشةٍ:

ـ "زفافك! يا لَها من مفاجأة، ومن هي سعيدة الحظ؟"

= "(شيرين اليمني) أتعرفها؟"

تضيق عين (شريف) اليسرى، وهو يُفكر قائلًا:

ـ "لقد سمعتُ ذلك الاسم من قبل".

= "إنها سيدة أعمال مرموقة، فكما تعلم، المنصب الجديد يتطلب امرأة أنيقة، لتجلس بجواري".

ـ "أتمنى أن ألتقي معها قريبًا على فراشي!"

يضحك (عادل) قائلًا:

ـ "أنت لا ترحم نساءًا ورجالًا".

يحتسيان نخبًا ضاحكيْنِ، ثُم يتحدث (عادل) قائلًا:

ـ "أريد منك مليار جُنيه".

= "يا رجل، أنت لو تتغذى على هذه الأموال ليلًا ونهارًا، فلن تنتهي بتلك السرعة".

ـ "ماذا نفعل يا (شريف) بيه، لقد انعدم الضمير تمامًا، القنبلة الواحدة تُكلف مائتي ألف جنيه، لقد أصبحنا في زمنٍ بلا أمان".

يضحك (شريف) مُقهقهًا، ويقول:

ـ "هيا بنا لنصعد بالأعلى، (ميرنا) تنتظرنا".

= "أنا لديَّ لقاء في التلفاز بعد ساعةٍ واحدة، وعليّ الذهاب الآن".

ـ "حسنًا، لكني سأنتظرك قريبًا، فقد اشتقت إلى مؤخرتك!!"

قالها مُعطيًا إياه إيصالًا بالمبلغ الذي طلبه منذ قليل، ليصرفه من البنك، فيجيبه(عادل) ضاحكًا:

ـ "حسنًا، إلى اللقاء".

قالها، وغادر؛ ليقتاد سيارته ذا هبًا إلى مدينة الإنتاج الإعلامي؛ ليتحدث في أحد البرامج كرجُل ثوري مُناضل، في حين(هاني) وصديقه يجلسان في سيارتهما بالقرب من الفيلا، يراقبان (عادل)، يتحدث (يامن) قائلًا:

ـ "لماذا يأتي إلى هنا باستمرار؟"

يجيبه (هاني) شاردًا في تفكيره:

ـ "لا أعلم، ربُما علينا اكتشاف ذلك!"

قالها، ونظر إلى صديقه؛ ليفتحا الباب معًا ويترجلا من السيارة.

******

يقف (ياسر) أمام غرفة العمليات، يضرب قبضته اليَمنى في كفه الأيسر مُتوترَا وقلقًا على زوجته، يتحرك بخطوات عشوائية ذهابًا وإيابًا مُرتبكًا، فوجد نفسه يتصل بـ (ريم) ليخبرها أن تأتي، لا يعرف لماذا اتصلَ بها، وأخبرها بذلك، ربُما لأنه يُدرك في قرارة نفسه أنها هي الوحيدة القادرة على امتصاص توتره، والتخفيف من حدة اضطرابه.

تسير (ريم) بخطوات سريعة في الطُرقة المؤدية إلى غرفة العمليات حيث توجد (سلمى)، لتجد خالها مُضطربًا، فتقول له بنبرة مُترددة وسريعة:

ــ "كيف حالها الآن؟"

يجيبها، وهو يسير مُضطربًا كما هو:

ــ "لا أعلم، لا أعلم شيئًا".

تتمشى (ريم) بجانبه لتشاركه الارتباك، حتى تخرج المُمرضة، قائلة بابتسامة عريضة:

ــ "مبارك، إنها فتاة مثل القمر".

يتنفس (ياسر) الصعداء، وتجلس (ريم) على المقعد المجاور، فقد مرت عليهما تلك الدقائق كأنها سنواتٌ عجاف، ويخرج الطبيب من الغرفة، وهو يخلع القفازات الطبية من يديه، يستوقفه (ياسر) سائلًا:

ــ "هل يمكنني رؤيتها الآن؟"

يُجيبه الطبيب مُطمئنًا إياه بابتسامةٍ خفيفةٍ:

ــ "لا تقلق، كلتاهما بخير حال، ويمكنك الاطمئنان عليهما بنفسك".

يدخل (ياسر) الغرفة مُسرعًا دون أن يشكر الطبيب، ليرى زوجته في أجمل صورة مُمكنة نائمة مُجهدة، وعلى وجهها قطرات العرق، لم تجف بعد، وبجانبها الطفلة الصغيرة، تبكي كأنها تعزف لوالديها أجمل الألحان، يقترب (ياسر) من زوجته، والدموع تتلألأ في عينيه من السعادة الغامرة بداخل قلبه، يُقبَل جبينها قُبلة طويلة، ساجدًا على صدرها، شاكرَا حامدًا قائلًا:

ـ "أحبكِ، أنتِ أغلى شيء في حياتي".

ترفع (سلمى) يدها لتداعب شعر زوجها، فينظر إليها مُبتسمًا بسعادة غامرة، وتقترب هي منه مثلما يقترب منها، وتتقابل شفتيهما في قُبلةَ رقيقة حنونة، يغيبان بها عن الوعي لحظات، ثُم يلتفتان إلى الفتاة الباكية؛ لتصمت، وتبتسم عيناها الصغيرة، فتتحدث والدتها قائلة:

ـ "(رُفيدة)".

يقترب منها والدها، ويحملها على ذراعيه، وتسقط من عينيه دمعة تُداعب خدها، فتبتسم له، فيضحك هو قائلًا:

ـ "مرحبًا صغيرتي، أتعلمين أنكِ قلبي الذي أحيا على نبضه!"

قالها، واقترب من زوجته، ليحملا طفلتهما بأيديهما معًا، ويُقبَلَا وجنتيها معًا، ثُم تنظر (سلمى) خلف زوجها قائلة:

ـ "كيف حالك يا (ريم)؟"

تُجيب (ريم) ضاحكة في حَرَج:

= "أنا أقف هنا منذ ساعة، ولا أريد الاقتراب، كي لا أقطع عليكما هذه

اللحظة".

يضحك الزوجان بشدة، ويلتفت إليها خالها قائلًا:

ـ "الآن أصبح لديَّ فتاتان، هيا تعالِ واحملِ شقيقتك، وعرِّفيها بنفسك".

تقترب (ريم)، وتُسمِّي الله، وتحمل الصغيرة، لتداعبها قليلًا قبل أن تنام بين يديها.

******

ينظر (هاني) إلى صديقه؛ ليفتحا الباب معًا، ويترجلان من السيارة صوب الڤيلا، يستوقفهما الحارس على البوابة، قائلًا بصوتٍ أجش:

ـ "قفوا في أماكنكم، إلى أين أنتم ذاهبون... "

يُقاطعه (هاني) طاعنًا إياه بالسكين التي يُخبئها في كُم قميصه، في رقبته بقوةٍ وبسرعة، ليقع الحارس على الأرض، ويتساءل (يامن) في نفسه "كيف لهذا المجنون أن يسلُب رجلًا حياته بتلك السلاسة والسهولة؟!"

يسيران معًا بـ ثقل وتوازن في الطُرقة المؤدية إلى الباب الداخلي، يظهر لهما حارس آخر من العدم، سائلًا:

ـ "من أنتما، وكيف دخلتما إلى هنا؟"

يلتفت إليه الصديقان، ويتحدث (هاني) رادًا عليه بثبات:

ـ "نحن على موعد سابق مع (شريف) بيه".

يتأملهما الحارس من الحذاء للرأس، غيرَ مُصدق ما يقوله (هاني)، فيتحدث في الجهاز اللاسلكي إلى قائد الحُرّاس، قائلًا:

ــ "سيدي، هل تسمعني؟"

= "نعم (مايكل)، أسمعك بوضوح".

ــ "يوجد هـ نا رجلان يدعيان أنهما على موعد مُسبق مع ...".

يقع الحارس ميتًا، إذ إن (هاني) استغل انشغاله بالتحدث، فأخرجَ سلاحه الناري، وأطلق عليه رَصاصة في رأسه، سَمعها كُل من في الڤيلا، فيقف قائد الحُرّاس مُعلنًا حالة الطوارئ، يوَجد لدينا مُتطلفلان، فينتشر الحُرّاس على الفور في كُل مكان، تاركين العنان لأسلحتهم النارية، يجري الصديقان مُهرولَينِ وسط رُصاصات الحُرّاس الذين لا يعرفون عددهم ولا مواقعهم، حتى استقرا بجانب سور صغير بجانب الباب الداخلي للڤيلا، يحتميان فيه من النيران المفتوحة عليهم من كُل حدبٍ وصوب، ينظران في كُل مكان بحثًا عن سبيل للهرب، ينفتح الباب الذي بجانبهما، ويخرج (شريف) قائلًا:

ــ "ماذا يحدث هنا، أين الأمن بحق الجحيم؟!"

يجيبه قائد الحُرّاس صارخًا:

ــ "ادخل بسرعة يا سيدي، عُد إلى الداخل".

شَعرَ (شريف) بالخطر، وهَمّ بالدخول لولا الصديقان اللذان كانا على بُعد ذراعٍ واحد منه خلف السور بجانبه، ووجد نفسه مُحاصرًا بينهما، وتوجد سكينتان على رقبته ومُسدس مُلتصق بجمجمته، يتحدث (هاني) آمرًا:

ــ "أخبرهم جميعًا أن يُخفضوا أسلحتهم أرضًا".

يُشير إليهم سيّدهم، وهو لم يفق من صدمته بعدُ، قائلًا:

ـ "لا تُطلقوا النيران، اخفضوا اسلحتكم أرضًا".

يُنفذ الحُرّاس أوامر سيدهم، ويُخفضون أسلحتهم، فيتحدث (هاني) قائلًا:

= "هذا جيد".

قالها ساحبًا (شريف) للخلف من رقبته، ليدخُلا الڤيلا، ويدخل خلفهم (يامن) مُغلقًا الباب من خلفه، ويقفان أمام ضحيتهم المُتكئ على الأرض بمعصميه، يتحدث (هاني) قائلًا:

ـ "اسمع أيها الوغد، أنا هارب من الإعدام، وهذا صديقي هارب من السجن، وقد قتلنا للتو اثنين من حُرّاسك، فاجعل الأمر سريعًا لنغادر في سلام".

يومئ لهم (شريف) بنعم، وقد جف فمه من المياه، ويأتي صوت (ميرنا) وهي تنزل الدَّرج من الطابق الثاني سائلة:

ـ "ماذا يحدث يا (شريف)؟"

يلتفتون إليها جميعًا وهي مُتوقفة بعينيها على عمها (هاني)، وهو يبتسم لها قائلًا:

ـ "مرحبًا عزيزتي (ميرنا)، كم أودُّ احتضانك الآن! لكن كما ترين، فأنا مُنشغل ببعض الأعمال العالقة، هيا اذهبي لتُحضري بعض الخمر للعم (هاني)، هيا!"

قال آخر كلمة بصيحة غضب مُطلقًا رُصاصة في صدر الخادمة التي ترتجف في أحد الجوانب، فيتحدث (شريف) رافعًا يديه للأعلى، غارقًا

في خوفه كما هو غارقًا في ارتجافاته:

ـ "أرجوك، أقبَل يديك، اتركنا، خُذ ما تُريد واذهب".

يسأله (هاني) بحدةِ وصرامةِ:

ـ "ماذا بينك وبين (عادل)؟"

يجيبه (شريف) تائهًا في حروفه، مُتعلثُما بين كلماته قائلًا:

ـ "(عادل)! من هو (عادل)؟ أنا لا أعرف أحدًا بذلك الاسم!"

يقترب منه (هاني)، فيصرخ (شريف) قائلًا:

ـ "سأخبرك، سأخبرك بكل شيء..آه!"

تلك الكلمات لم تمنع (هاني) من طعنه في كتفه الأيسر قائلًا:

ـ "ذلك كي لا تعبث معي مُجدداً".

= "ارحمني، سأخبرك بكل شيء".

قالها (شريف)، وهو مُستلقِ على الأرض، مُمسكًا بجرحه العميق، و(ميرنا) تقع جالسة القُرفصاء في إحدى الزوايا، وقد تملّك منها الاضطراب والخوف، يتحدث (هاني) سائلًا بسَخط بصوتِ ضجيج:

ـ "ماذا بينك وبين (عادل)؟"

يتنفس (شريف) بصعوبة، مُدعيَا عدم القُدرة على الحديث، فيَطلق (هاني) الرصاصات بجانبه على الأرض صارخًا:

ـ "ماذا بينك وبينه؟"

يجيبه (شريف) مُستسلمًا:

ـ "يُريد أن يُصبح رئيسًا للبلاد، هو السبب في الثورة وكُل شيء، أقسم لك إن هذا كُل ما أعلمه".

يبتسم (هاني) بنصف وجهه الأيسر، مُحدقًا إلى الفراغ لحظات، ثُم يسأل قائلًا:

ـ "و(ميرنا) زوجتك؟"

يُشير (شريف) برأسه نافيًا قائلًا:

ـ "إنها الخادمة".

تزداد ابتسامة (هاني) الخبيثة قائلًا:

ـ "حسنًا، هيا معي لتُخرجنا من هنا".

يجيبه ضحيته بإجهاد شديد قائلًا:

ـ "أنا لستُ قادرًا على الحركة".

= "وكيف لي أن أتركك، وأنت السبيل الوحيد لخروجنا من هنا!"

قالها (هاني)، وهو يحمله من ياقته أمامه، واضعًا مُسدسه على رأسه، و(يامن) يضع السكين على رقبته تحسبًا لهجمات الحُراس، فأصبح (شريف) درعًا حاميًا لهم من هجمات الحُراس، حتى وصلا إلى سيارتهما، وانطلقا مُسرعين، فيقع (شريف) على رُكبتيه مُمسكًا بجرحه، يُسرع إليه جميع الحراس للاطمئنان عليه، فينظر إلى قائد الحرس مُستشاطًا في غضب، آمرًا:

ـ "هذه العاهرة التي بالداخل، اقتلها!"

******

الـفـــوضـــى

جاءت (رُفيدة) حاملة السعادة لوالديها، ليزداد عشقهما، وتُصبح هي حلقة الوصل لأرواحهما المُترابطة، تنام على صدر أمها، تتناول غذاءها مُطبقة جفنيها، وبجانب (سلمى) تجلس (ريم)، وبجانبها خالها، يُلاحظ الأخير شرود (ريم) وسرحانها، في حين هو يتحدث إليهم، فيَشير إليها بيمناه قائلًا:

ـ "أين ذهبتِ؟"

تنتبه إليه قائلة:

ـ "لا أبدًا، أنا معكم".

= "حسنًا، ماذا كُنت أقول؟"

تصمت (ريم) مُبتسمة على استحياء، فيتحدث خالها قائلًا:

ـ "هيا أيتها الفتاة المُشاكسة، أخبريني، بماذا كُنتِ تُفكرين؟"

تتنهد (ريم)، ثُم تتحدث قائلة:

ـ "أمي لم تأتِ إلى المنزل منذ أسبوع تقريبًا".

تشهق (سلمى) قائلة:

ـ "ماذا؟ أسبوع!"

يستكمل (ياسر) على حديث زوجته قائلًا:

ـ "ولماذا لم تُخبريني من قبل، بالتأكيد أصابها سوء في ظل هذه الفوضى!"

ترد عليهما (ريم) بهدوء مُبالغ فيه قائلة:

ـ "اهدأ ، فقد اتصلتُ بها كثيراَ، وهي لا تُجيب، وأمس ردَّت صارخة عليّ، قائلة ألا أتصل بها مُجدداً، وإنها ستُكسر هذه الشريحة، حتى تتـ خلص من اتصالاتي المُستمرة، ولم تُمهلني دقيقة لكي أخبرها أنني فقط أردت الاطمئنان عليها".

فوجئ الزوجان بتلك الكلمات، وأخذ (ياسر) هاتفه للاتصال بها، ووجد الرسالة المُسجلة تُخبره أن هذا الرقم بات غير موجود بالخدمة، فتأكد من صحة كلمات (ريم)، فيقترب منها مُبتسمًا، وهو لا يعلم ماذا يقول، وبعد لحظات يتحدث قائلًا:

ـ "حبيبتي، نحن ...".

يُقاطعة صوت رنين جرس الباب، فيتنهد مُبتسمًا لها، ويذهب ليفتح الباب، لتتسع مقلتا عينيه، ويشهق رغمًا عنه، فاتحًا فمه، مُتصلبًا في مكانه، حين رأى (ميرنا) أمامه منكوشة الشعر، ساترة جسدها العاري بأوراق الجرائد المُمزقة، تذرُف الدموع بملامح جامدة، ووجه مُرتعش مكسور كَساه الغبار، تقترب منه ببطء، وتضع رأسَها على صدره، فيشتمّ رائحة العفن، ويتحامل على نفسه، ويضُمها بيديه مُحتضنًا جراحها، مُداويًا كسرها بعناقِ أبوي بريء مملوءا بالحنان وكثيرِ من الشفقة، يأخذها للداخل، لتنصدم زوجته من رؤيتها، وتشهق واضعة يديها على فمها، وتنفزع (ريم) واقفة.

******

اشتعلت الثورة، ووصلت إلى حد الجنون، وانتشرت الفوضى في كُل مكان، واعتصم الثوار في عديد من الميادين المُختلفة، وتسابقت المحطات التليفزيونية حول العالم في نقل هذه الأحداث الجنونية، وقد نجحَ (عادل) في استقطاب جميع فئات الشعب حوله من خلال لقاءاته

التلفزيونية، وتصريحاته الجريئة، ومُناداته المُستمرة بإسقاط النظام، فَعَلا نجمه بين الجماهير، وظنَ الجميع أنه بطلٌ قومي، يبحث عن الحرية والأمان والكرامة في ظل الغلاء الجنوني لأسعار السلع الغذائية، وانفجار القنابل بطريقة عشوائية في كُل مكان، وسقوط الضحايا والمصابين يوميا.

اضطر (عادل) إلى تعيين بعض الحُراس لحمايته، بعدما أصبح واحدًا من أشهر رجال العالم، يجلس الآن على المقعد الخلفي بداخل سيارته، بجانب احد حُرّاسه، وفي الأمام، بجانب السائق يجلس حارس آخر، عائدون إلى ڤيلتُه، بعدما أنهى لقاءه التليفزيوني منذ قليل، يُفَاجأ جميع من في السيارة بسيارة أخرى، تقطع عليهم الطريق، وتقف أمامهم، فيخرج الحارسان بسرعة مُشهرينِ أسلحتهما النارية، فيخرج (هاني) وصديقه من سيارتهما بدون أسلحة، وذلك لإثبات حسن النية، ويتحدث (هاني) بصوت عالٍ قائلًا:

ـ "أنا لا أريد سفك الدماء هنا، هيا يا أخي، اخرج من السيارة، فأنا أريد مُحادثتك فقط".

ينظر الحارسان إلى بعضهما، ثُم يُعمرون أسلحتهما، ليصبح الأمر متوقفًا على ضغط الزناد، فيَعاود (هاني) الحديث مُجدداً، لكن هذه المرة بصوت أجش غليظ:

ـ "(عادل)، أنت تعلم أنني قادرٌ على قتل هذين الاثنين بلمح البصر، لكني حتى ال...".

يترجّل (عادل) من السيارة مقاطعًا حديثه:

ـ "ماذا تريد؟"

يجيبه شقيقه بهدوء قائلًا:

ـ "التحدث معك".

يتنهد (عادل) على مَضض قائلًا:

ـ "حسنًا تعال إلى السيارة، فلا يجوز أن نتحدث هنا في الطريق، فإذا رآني أحد واقفًا معك، ستكون كارثة".

يُخفض الحارسا ن أسلحتهما، في حين (هاني) يقترب من شقيقه مُبتسمًا مُخرجًا سلاحه الناري من جانبه بخفة، كما لو كان ساحرًا، ويُطلق رُصاصة في رأس كُل حارس، فيقع (عادَل) أرضًا خائفًا، لتتحول ملامح (هاني) المُبتسمة إلى عابثة، ويجزّ على أسنانه في غِل، فيجف الُلعاب من فم شقيقه، كما جفت الدماء في عروقه، يرتعد خوفًا، قائلًا بصوت مبحوح، وهو يزحف إلى الخلف على يديه:

ـ "دعنا نتناقش، سأفعل ما تريد، أرجوك يا (هاني)".

يتعجب (هاني) قائلًا:

ـ "ماذا تقول؟ هيا انهض!"

قالها، وهو يمُد يده إلى شقيقه ليَساعده على النهوض، ثُم ينظر إلى صديقه الذي بالخلف قائلًا:

ـ "قُد أنت سيارتنا، وسِر خلفنا، فأنا أريد مناقشة أخي قليلًا، وابقى مُتنبهاَ إلى كل شيء".

يُشير (يامن) بالموافقة، ويأخذ مكانه في السيارة قائدًا إياها خلفهما.

******

أخذت (ريم) ابنة خالها، وحممتها، ووجدت في جسدها كثيراً من الكدمات والجروح، فيما أحضرت لها (سلمى) الثياب والطعام، والآن هي نائمة، في حين (ياسر) يجلس مع أسرته في الصالون، يفكرون كيف وصل بها الحال إلى هذا الوضع، تتحدث (سلمى) قائلة:

ـ "يبدو أن هذه الفتاة قد مرت بالكثير!"

توافقها (ريم) الرأي قائلة:

ـ "نعم، فرقبتها لم تتوقف عن الاهتزاز، وعيناها لا تكُفان عن التجول في كُل مكان".

تأتي صورة (عادل) على التلفاز في خبرٍ ما، فيتحدث (ياسر) قائلًا:

ـ "كيف له أن يتحدث هكذا كبطلٍ قومي، وابنته في تلك الوضعية؟!"

= "أعتقد أنه لا يعلم شيئًا عنها!"

قالتها (سلمى)، يجيبها زوجها قائلًا:

ـ "إن كان لا يعلم شيئًا عنها، وهي في تلك الحالة، فهي مُشكلة أكبر، هذا الرجل عارٌ عليه كلمة أب".

= "دعنا نتمهل حتى تستيقظ، لنعلم منها ما حدث معها".

قالتها (ريم) بهدوء، ويأتي صوت (رُفيدة) مُشاركة إياهما الحديث، مُعلنة حضورها عبر بُكائها الخفيف.

******

يفشل (عادل) في محاولة إخفاء ارتباكه بجانب شقيقه، ويتحدث بثباتٍ مُصطنع، اكتشفه (هاني) بسهولة:

ـ "ماذا تُريد؟"

يرد (هاني) بثباتٍ غير مُصطنع قائلًا:

= "لا تناقشني وكأننا أعداء، أنت سلّمتني إلى الشرطة، وحُكمَ عليّ بالإعدام بسببك، وها انا في النهاية أمامك، أمدَّ يدي إليك؛ لننسى الماضي".

يتعجب (عادل)، وتزداد مخاوفه، ويمدُ يده إلى شقيقه، وهو على يقين في قرارة نفسه أنه يُريد شيئًا ما، فيتحدث (عادل) قائلًا باضطراب مُتخفٍّ في عباءة الثقة:

ـ "ما هذا الهراء الذي تقوله؟ أي شُرطة تتحدث عنها؟"

يبتسم (هاني) بنصف وجهه الأيسر، رافعًا حاجبه الأيسر قائلًا:

ـ "أي نوع من الأشقاء أنت؟ تكذُب على أخيك بعدما وضعت يدك في يده، عارٌ عليك يا أخي، أنا أعرف كُل شيء، ولا تقلق، فأنا لا أهتم بعلاقتك مع شقيقتنا العاهرة، ولا أهتم لابنتك التي تركتها لتكون جارية لذلك العجوز".

تقف الحُروف في حنجرة (عادل) عاجزة عن الخروج، وازداد تعرّقًا ناظرًا أمامه في ثباتٍ مملوء بالوجس، يُطبق أصابعه في كفه، في محاولة للتماسك، يخشى النظر إلى يساره حيث يجلس شقيقه، وبعد عناء يتحدث سائلًا:

ـ "ماذا تُريد؟"

= "يبدو أنني لن أكتسب ثقتك أبدًا، على كُلٍّ، فثقتك لا تعني لي شيئًا،

جُلّ ما أريد هو أن تنجح في مسعاك، لتعتلي أعلى المناصب!"

يزداد (عادل) تخبَطًا مُتسائلًا في نفسه "كيف عَرِفَ بذلك الأمر أيضًا؟!" بينما (هاني) يستدرك حديثه قائلًا بحزم:

ـ "لأصبح بعدها وزيرًا أو مُستشارًا للرئيس!!"

يسعل (عادل) بعد شهقة مُسترة، غيرَ مُصدق ما يسمع، يأخذ منديلًا لتجفيف عرقه الغزير، ويَتحدث قائلًا:

ـ "الأمر ليس بتلك السهولة التي تظُنُها".

= "بربك يا رجل! أنت ستصبح رئيسًا للبلاد، يُمكنك نقل أهرامات الجيزة إلى غُرفتك إن أردت".

ـ "أنا لا أمزح، ما تريده صعب للغاية، أستطيع منحك الأموال، وإسقاط جميع التُهم المنسوبة إليك".

يقترب (هاني) من أذنيه، ويهمس له بنبرة هادئة ومُخيفة قائلًا:

= "أتدري ما هو الأصعب؟ أن أجلس بجانبك الآن دون نَحر عُنقك، وامتصاص دمائك، لكني دائمًا كما تدري، أتحمّل الصعاب، فيجب عليك أيضًا تحمّلها".

يبتلع (عادل) لُعابه في خوف، يفكُ رابطة عُنقه، ويتحدث مُتعلثُما:

ـ "حسنًا، لك ما تُريد".

يستخرج (هاني) سيجارة وهو يقول:

= "نحن الآن على وفاق، لكن صدقني، إذا تلاعبت بي مُجددًا، سأقطّع جسدك ثُمَّ اني قطع، وألقي كُل قطعةٍ في قارة مُختلفة، وأتناول أنا

القطعة الثامنة، حتى لا تجتمع روحك في الحيوات التالية أبدًا!"

قالها، وأشعل سيجارته، في حين أخوه يتناول زُجاجة المياه، ويرتشف منها الكثير، قلبه يرتجف خوفًا، يتحدث قائلًا:

ـ "لا تقلق، أنا بحاجة إلى مَن هم مثلك بجانبي".

يومئ إليه (هاني) بنعم، في إشارة منه على رضاه بنتائج تلك المفاوضات، ويترجّل من السيارة إلى السيارة التي يقودها (يامن) خلفهما.

******

استيقظ (ياسر) وجميع من في المنزل، وكانت(ميرنا) آخر من استيقظ، فقد استغرقت في نومها أكثر من ثلاث عشرة ساعة، تناولوا جميعًا الفطور، وجلسوا يتسامرون، ويتناقشون فيما بينهم، لكن (ميرنا) صامتة، وملامحها جامدة، تشعر بالخجل، كما تشعر بالخذلان، يتحدث إليها عمها قائلًا:

ـ "ما شاء الله عليكِ يا ابنتي، اليوم تبدين في حالة جيدة".

تبتسم بملامحها المُجهدة قائلة:

ـ "لا أعرف ماذا أقول لك يا عمي، فلولاك لكُنت ميتة الآن في أحد الأزقة!"

يتعلثُم (ياسر) وهو يتحدث سائلًا:

ـ "هل يُمكنك التحد ث الآن، وإخبارنا ماذا حدث معك؟"

تتنهد الفتاة بقلبٍ مُمزق قائلة:

ـ "سأروي لكم كُل شيء، لكن أرجوكم، لا تخبروني أن أحرر بلاغًا، أو أطلب مساعدة الشرطة، فأنا لا أريد إلا أن أبقى هنا بأمان معكم".

زادت هذه الكلمات فضولهم، وانتبهوا إليها جميعًا بآذان مصغية، وهي تقُصّ عليهم قائلة:

ـ "منذ أكثر من ثمانية أشهر، اصطحبني والدي أنا وأمي إلى حفلة أحد أصدقائه، ويُدعى (شريف) بيه، هكذا يُنادونه دائمًا، أُعجِب بي هذا النذل، فتركني والدي عنده في فيلته، ولما اعترضت والدتي على ذلك، أخذها والدي خارج الحفل، وحتى الآن لا أعلم إن كانت حية تُرزق أم لا (ترتشف قليلًا من المياه وتستكمل قائلة)، مكثتُ في هذا السجن ثمانية أشهر كاملة، بلا هاتف ولا أحد بجانبي، وحين يأتي المساء، يحمل معه التعاسة، وينقض عليّ ذلك العجوز، يفعل ما يشاء، كُنت أقبَل يده ليرحمني قليلًا، فيَخبرني أنه لن يكون أحنَّ عليّ من والدي، وحتى والدي بدأ يُشاركنا تلك القذارة، ليتناوب علينا ذلك العجوز!"

تصمت (ميرنا) لحظات وهي تتذكر كُل شيء في عقلها ببطء، وكُل ذكرى قاسية مرت على روحها البريئة، لم تستطع (ريم) الاستماع أكثر من ذ لك، وقامت مُتحججة بالاهتمام بالفتاة الصغيرة النائمة بغرفة الأطفال، في حين (سلمى) تعجز عن الحديث، فيتحدث زوجها إلى (ميرنا) قائلًا:

ـ "ارفعي رأسك يا ابنتي، فما عساكِ أنتِ أن تفعلي وسط هؤلاء الظالمين!"

يربّت على رُكبتيها مُستكملًا:

ـ "أنتِ هنا بأمان يا ابنتي، لا تقلقِي، ولكن كيف هربتِ من هناك؟"

مرة أخرى ترتشف قليلًا من المياه، وتتحدث قائلة:

ـ "منذ بضعة أيام جاء عمي (هاني) ومعه صديق له، وقام عمي بقتل عديد من الحُرّاس واستجوب (شريف)، وعرف منه كُل شيء، وفي أثناء مُغادرتهما الڤيلا، كان الجميع مُهتمًا بهما فاستغللتُ الفوضى، وقفزتُ السور، ومكثتُ في الشارع لا أعرف أين أذهب واعت... واعتدى عليّ ثلاثة كلاب، وكادوا يقتلونني".

يضمها عمُها إلى صدره قائلًا:

ـ "لا عليكِ يا ابنتي، هذا ليس خطؤك، أنتِ فتاة قوية صامدة، لا عليك يا حبيبتي، لكن لماذا ذهب (هاني) إلى هناك؟"

ترد عليه دافسة خوفها في صدرعمها، مُتشبثة بأمانه، لا تريد مفارقة وطنها الآمن بين حدود ذراعيه:

ـ "ليعرف الحقيقة من فم (شريف)، الحقيقة التي لا يعلمها أحد، أبي هو السبب في هذه الفوضى و(شريف) يدعمه ماديًّا، لقد استمعت لمناقشتهم مراتٍ عديدة، والدي هو السبب في التفجيرات وغلاء الأسعار، بعدما سيطر على جميع التُجار، هو السبب في كُل شيء".

يُبعدها (ياسر) برفق براحتي كفيه، لينظر في عينيها سائلًا:

ـ "عزيزتي، هل تعنين خطورة ما تقولين؟"

تُشير الفتاة برأسها نعم، قائلة:

ـ "هذه هي الحقيقة يا عمي، لديهم أيضًا شُركاء آخرون، لكني لا

أعرفهم".

يستغرق (ياسر) عدة دقائق في التفكير مُتمعنًا فيما قالته الفتاة، يقطع تركيزه صوت رنين الجرس، فيذهب ليفتح الباب، ليستقبل (آدم)، ويُرحب به داعيًا إياه للجلوس قليلًا، حتى يقوم هو بتبديل ثيابه، ليذهبا معًا في أمرٍ مهم، بعد عدة دقائق خَرج (ياسر) من غُرفته مُرتديًا ثيابه قائلًا:

ـ "هيا بنا يا (آدم)".

يتعجب (آدم) من لهفة (ياسر) وسرعته، فيتحدث سائلًا:

ـ "إلى أين نحنُ ذاهبان؟"

يجيبه (ياسر) دون أن يلتفت إليه قائلًا:

ـ "إلى مُديرية الأمن!"

يقف (آدم) محله سائلًا:

ـ "ماذا؟"

ينظر إليه (ياسر) قائلًا بصلابةٍ:

ـ "لا وقت للتعجب، سأحكِي لكَ كُل شيء في الطريق، هيا بنا".

******

يجلس الحاج على مقعده المُتحرك، مُتأسفًا لحاله على نهايته، انتهى دواؤه ولا يوجد من يُحضر له المزيد، يشاهد التلفاز بعينين مُرهقتين، يتابع الثورة والأحداث الفوضاوية، يبتسم حين يرى (عادل) على الشاشة، يعلو شأنه بين هتافات الثوار المطالبين بالحياة الكريمة، يعلم

في قرارة نفسه أن (عادل) هو السبب في كُل شيء، يجول في خاطره قول مُزعج قرأه في صباه "مات في القرية ساحرا، فاسترحنا من أذاه، خلَّف الساحرُ جنياً، فاق في السحر آباه"، أو كما قال آخر "مات في القرية كلبَا ، فاسترحنا من عواه، خلّف الملعون جرواً، فاق في النبح آباه"، يبتسم مُفتخراَ بأعظم أعماله المُتمثلة في تربية (عادل)، يمر شريط الذكريات أمام عينيه، مُنذ أن كان مُراهقًا في صعيد مصر، يبحث عن العمل والاستقرار، حتى ذهب إلى القاهرة، ليبدأ حياته العملية في ورشة صغيرة لصيانة السيارات، وبعد عدة سنوات بالصبر والاجتهاد، افتتح معرضًا للسيارات وتزوج، ينكسر قلبه كلما تذكرها، وتذكر ما فعلته به، يتذكر كم بكى بعد وفاتها، وذهابه إلى قبرها، ليعتذر منها على زواجه بامرأة أخرى، يومها أقسم لها على قبرها إنه بحاجة إلى امرأة تساعدة في مراعاة الأطفال ليس إلا، حتى جاء اليوم المشؤوم حاملًا أتعس الصدمات، إنه لا يُنجب الأطفال، فقتل زوجته الجديدة؛ حتى لا تُفشي سره، وعقد العزم، ليجعل روح خائنته تحترق كُلما شاهدت أطفالها من السماء، فالولد الأكبر إرهابي مهوس بالمال والسُلطة، والفتاة ساقطة عاشقة لشقيقها، والولد الأصغر سفاح مُغتصب، يتذكر حياته التي تحولت من الطريق المُستقيم، ليندرج في أعمال المنحرفين كتجارة المخدرات، حتى أصبح ثريّا للغاية، وللأسف ضاعت جُلَّ هذه الأموال في علاجه من أمراض القلب والصدر، أما عن الجزء الأكبر منها فقد ضاع في عملية تهريب (هاني) من السجن.

صوت طرقات على الباب غير مألوفة للحاج، فيترك بحر الذكريات دافعًا عجلات مقعده المتحرك بصعوبة بالغة، ليفتح الباب لذلك الغريب، يشعر أنه على شفا حُفرة أو أقرب من السقوط في عالمٍ آخر

مجهول، يفتح الباب فيبتسم له (هاني) قائلًا:

ـ "مرحبَا أبي".

يسعل الحاج بقوةِ، ويبصق لعابه الغليظ على الأرض أسفل قدم ضيفه قائلًا:

ـ "تفضل يا بُني".

يدخل (هاني)، ويمسك القبضتين الخلفيتين لمقعد الحاج، ليتحرك به، ويقف في مُنتصف الصالون، يقف (هاني) أمامه قائلًا:

ـ "هذه الحياة غريبة، أليس كذلك؟"

يضحك الحاج ساخرًا قائلًا:

ـ "بكُل تأكيد، فقد حررتُك من السجن، وها انت أمامي، لتُحررني من الدُنيا".

يبتسم (هاني) بنصف وجهه الأيسر قائلًا:

ـ "لم تُخب ظني قط، أنت أذكى رجل قابلته في حياتي".

يتحدث الحاج بثقةِ ممزوجة بكثيرِ من الهدوء، قائلًا:

ـ "وكيف تنوي فعلها؟"

يصمت (هاني) عائدًا خلف مقعده من جديد، ليتحرك به صوب إحدى الغرف، فيتحدث الحاج قائلًا:

ـ "هذه الغُرفة التي عانيت فيها صغيراً، يا لَعجب الأيام!"

= "إنها لعبة القدر، حان الوقت لتُحبس بداخلها، وبينما تتعفن فيها،

سترى خيالًا لطفلٍ صغير يبكي في الزاوية، لا تقلق إنه أنا".

ـ "على كُلٍ، فأنا كُنت أعلم أن النهاية على يد أحدكم".

= "هل لك بأمنية أخيرة؟"

يسعل الحاج، ويبصق للمرة الأخيرة قائلًا:

ـ "لتجعل الأمر سريعًا".

يُخرج (هاني) سلاحه الناري قائلًا:

ـ "أكره استخدام المُسدس، فهو يُفقدني تلك اللذة، لكن هذه المرة سأستخدمه لأعجل من أمرك، لطالما كُنت رجلًا رحيمًا كما تعلم".

يُغلق الحاج جفنيه ويرفع رأسه للأعلى مُستعدًا للعالم الآخر، يُطلق (هاني) رُصاصته في مُنتصف جبين الرجل الذي جعل منه سفاحًا، ليموت بالسّم الذي جاهد في صُنعه.

******

أخذ (ياسر) (آدم) إلى مُديرية الأمن، قاما بسرد كُل ما يعرفانه على مسامع الضباط والقادة، فقاموا بدورهم بإخبار القيادات العُليا على الفور، ليأتي اللواء (مُراد أبو الخير)، ليصبح مسؤولًا عن تلك القضية، جلس مع (ياسر) ليستمع إلى قصته مُجددًا، وشكَره على تعاونه ومصداقيته.

أقام اللواء اجتماعًا عاجلًا في مكتبه، مُستدعيًا بعضًا من الضُباط ذوي الخبرات، ليتناقشوا حول كيفية الإيقاع بتلك الحفنة القذرة، لينتهي الاجتماع، ويُصدر اللواء أمرًا بتحرّك قوتين في آن واحد، واحدة إلى ڤيلا

(عادل)، والأخرى إلى (شريف).

تجلس (فريدة)، أو كما يناديها البعض (شيرين)، بداخل ڤيلا شقيقها تحت يدي مُصفف الشعر الذي جاء خاصة لتصفيف شعرها، وتزيينها لزفافها الذي من المُقرر أن يتم مساءً، يدخل شقيقها مُغازلًا إياها ببعض الكلمات لتضحك، يأتيه اتصال، فيجيب المُتصل، لتتحول ملامحه من الهدوء إلى الاضطراب، ومن الابتسام إلى العبوس، يترجل خارجًا من الغُرفة، حتى لا يُلاحظ أحد توتره، يغادر الڤيلا وحيدًا، بعدما قام أحد أتباعه بتبليغه أن الشُرطة في طريقها إليه، يصل رجال الشُرطة، ويُلقون القبض على (شيرين)، في نفس الوقت الذي قُبِضَ فيه على (شريف).

******

الصديقان بجانب بعضهما، جالسان على الأريكة، يحتسيان القهوة معًا، (هاني) مُنهمك في صناعة السجائر المملوءة بمُخدر الحشيش، يُمرر لسانه على السيجارة ليَحكم إلصاقها، يُشعلها مُستنشقًا منها الدخان المسموم، يُعطي السيجارة لصديقه سائلًا:

ــ "أتشمُ هذه الرائحة؟"

يتنفس (يامن) سائلًا:

ــ "أي رائحة؟"

يُريح (هاني) رأسه للخلف قائلًا:

ــ "رائحة الهدوء، إنها في أنفي مُنذ الصباح".

ينظر (يامن) إلى صديقه مُخرجًا الدخان في كلماته قائلًا:

ـ "أتعلم أن هذه الرائحة توحي بالشر!"

يأخذ (هاني) السيجارة من صديقه قائلًا:

ـ "وهذا ما يُقلقني، دعني أسألك، ماذا لو كُنتَ فتاة؟"

يبتسم (يامن) مُريحًا ظهره للخلف قائلًا:

ـ "كُنت سأقضي أيامي في الاستمتاع بجمالي وجسدي، وأحطم قلوب الشباب نهارًا بحُسني، وأقضي الليل في التعبد وقيام الليل؛ حتى يأتي من يستحق، لأتزوج منه، وأنجب الأطفال لأقضي يومي في الاعتناء بهم وبزوجي، والاهتمام بالمنزل ونظافته، كم هي جميلة تلك الحياة وبسيطة".

ينظر إليه (هاني) بتهكم قائلًا:

ـ "أي حياة تعيسة هذه! لو كُنتُ فتاة لكُنت عاهرة، أقضي الليالي في الاستمتاع، وأتقاضى المال مُقابل استمتاعي، إنها تجارة ناجحة على حساب الرجال الأغبياء".

قالها مُعطيًا إياه السيجارة، يأخذها (يامن) سائلًا:

ـ "وماذا عن الضمير، ألن تبكي يومًا على ما تفعله في جسدك؟"

يبتسم (هاني) بنصف وجهه الأيسر بسخرية قائلًا:

ـ "حسنًا، سأداوي ضميري بالمال، وإذا سيطر عليّ البكاء يومًا، سأمسح الدموع بأوراقٍ نقدية من فئة المائتي جُنيه، وأنا جالس في سيارتي الفارهة، أليس هذا أفضل من هؤلاء الذين يبكون على فراشهم، كاتمين أنينهم في الوسادة؟!"

يسود الصمت بينهما قليلًا، يتحسس (هاني) رائحة الهواء بأنفه مُستنشقًا بتمعن ليتأكد من شيئًا ما، يتحدث قائلًا:

ـ "وجدتها، إنها رائحة الفوضى، ليست الهدوء".

ينظر إليه صديقه بنصف عينٍ قائلًا في وخم:

ـ "الاثنان لا يُنذران بالخير".

يتأمل (هاني) السقف مُتسائلًا بصوتٍ خافت ضعيف:

ـ "هل ستقتلني يومًا ما؟!"

يلتفت إليه (يامن) مُجيبًا في هدوء:

ـ "يبدو أنك تُعاني اليوم فرطُ التفكير".

يعتدل (هاني) في جلسته، واضعًا يده اليَمنى على فخذ صديقه، مُتحدثًا بابتسامة مُصطنعة:

ـ "نعم، تلك الرائحة فقط تُشوش تفكيري، أنت صديق جيد، وكذلك مُستمع جيد، تلك الفتاة التي تلاعبت بك هي أحمق فتاة سمعتُ عنها من قبل".

= "الجميلات دائمًا حمقاوات".

قالها (يامن) بحسرة، وابتسامة تحمل كثيراً من الأسى، فيتحدث صديقه سائلًا:

ـ "أما زلت تُحبها؟"

يتنهد (يامن) قائلًا بصرامة:

ـ "علينا أن نتجهز لخطوتنا التالية!"

= "يبدو أنك ما زلت مُغرمًا بها، أو أنك من هؤلاء الذين يعشقون استبداد الحبيب!"

ينظر إليه (يامن) مُعيدًا كلماته الأخيرة ويُزيد عليها قائلًا:

ـ "علينا أن نتجهز جيدًا، لكن هذه المرة كما أخبرتك مُسبقًا، سأكون أنا بمفردي، لن تصعد معي!"

******

يرتدي (آدم) قميصه الأنيق واقفًا قُبالة المرآة، يُهندم ثيابه، ويُمشط شعره، يرتدي ساعته في يُسراه، ويضع العطر الجذاب ويأخذ والدته مُتجهيْنِ إلى منزل (ياسر)، يستقبل الأخير ضيوفه بترحابٍ شديد، داعيًا إياهم للدخول، فيلَبيان استضافته الحسنة، ويدخلا، لتبدأ رحلة العناقات بين (والدة آدم) ونساء المنزل (سلمى)، (ريم)، (ميرنا)، تأخذ (والدة آدم) مكانها بجانب النساء على الأريكة في حين (آدم) يجلس بجانب (ياسر)، بدأوا الحديث بالمباركة للعروسيْنِ المُقرر زواجهما بعد أيامٍ قليلة، يتناقشون قليلًا عن الماضي، ويضحكون، يأخذهم الحديث نحو الأحداث الجارية في البلاد فيتحدث (ياسر) سائلًا:

ـ "هل رأيتم آخر الأحداث؟"

تُجيب (والدة آدم) بحماسة قائلة:

ـ "نعم لقد قبضوا على بعض الإرهابيين، نسأل الله الأمان والاستقرار".

يُرد دون جميعًا "آمين" فيما تذهب (ريم)، وتعود حاملة صينية عليها

عديد من أكواب العصير، فتتحدث (والدة آدم) قائلة:

ـ "لماذا أرهقتِ نفسكِ يا حبيبتي فنحنُ لسنا أغراب؟"

= "لا يوجد إرهاق يا أمي، تفضلي".

تأخذ (والدة آدم) كوب العصير، وترتشف منه القليل، وتتحدث قائلة:

ـ "أين هي الفتاة الصغيرة يا (سلمى)، أنا لم أرها بعد؟"

تقوم (سلمى) ذاهبةٌ بابتسامة عريضة تُزين ملامحها قائلة:

ـ "نائمة، سأحضرها لكِ".

يقطع أحد المُتطفلين جلستهم الدافئة بالضغطِ على الجرس، فيذهب (ياسر) ليفتح الباب، يُطعن بسكين عريض في مُنتصف بطنه بمجرد أن فتح الباب، قبل حتى أن يرى من الطارق، يعود للخلف بخطواتٍ مُتثاقلة، ليدخل (هاني) وصديقه، ويقف الجميع مُحدقين أعينهم، يقع كوب العصير من يد (آدم)، كما وقع (ياسر) مُتهاوياً على الأرض، تعلو صرخات الصدمة من الفتاتين، تخرَج (سلمى) حاملة طفلتها بين يديها، لتُفاجأ بزوجِ ها وقرة عينها على الأرض، يذرف الدماء فتُطلق صيحة دوّى صداها كهوف الجبال، ينقضُّ (آدم) على (يامن) طارحًا إياه أرضًا ليبدأ صراعهم الخاص بدون أسلحة، في حين (هاني) يستخرج سلاحه الناري مُبتسماً إلى (سلمى) بنصف وجهه الأيسر مُصوباً سلاحه تجاهها، فتعتصر الأُم طفلا تها بيديها داخل أحضانها قبل أن يُطلق عليها رصاصة تخترق صدرها من جهة اليمين، لتسقطِ أرضًا مُنقلبةٌ على وجهها، وتتهاوى الطفلة من يديها مُصطدمة بالأرض، تقع (ميرنا) مُرتعدة، غارقةٌ في خوفها، جالسة القُرفصاء، مُطبقة الجفنين في أحد الأركان، في

حين (والدة آدم) تقتر ب من الاثنين اللذين يُدغدغان عظامُ بعضهما، مُحدقة النظر إليهما، قائلة بصوتٍ خافت"ياسين"، فيُطلق عليها (هاني) رصاصة في رأسها قبل أن تقترب منهما، فحقًّا الأُم تشتم رائحة ولدها ولو بعد مائة عام من الفُرقة، تتشجع (ريم) مُسرعة، لتنقض على خالها المجنون، فيَطلق عليها رصاصة عشوائية دون أن يلتفت إليها، أصابت الر صاصة كتفها الأيمن قُرابة صدرها، يترجل (هاني) بخطواتٍ مُتزنة، ويقف قُبالة الفتاة الرضيعة، ناظراَ إليها بنهم، وهي تبكي مُلوحَة بيديها وقدميها في الهواء، في حين (ياسر) يزحف على يديه، مُجاهدًا للوقوف على قدميه، فـ يلتفت إليه أخوه الأصغر، لاكمًا إياه بقبضته، مُطيحًا به، ليشاء القدر أن يقع بجانب زوجته على وجهه مثلها، يُجاهد ليفتح جفنيه بعناء لينظر إلى زوجته، تنظر هي إليه بنفس طريقته، لافظيْنِ أنفاسيهما الأخيرة، يودعان بعضهما بالعيون، وما أقساه من وداع، يُطلق (هاني) رصاصة أخرى في ظهر أخيه، تنظر سلمى إلى (آدم) البعيد عنها، مُشيرةٌ إليه بيسَراها قائلة "أنقذ ابنتنا... أنقذ طفلتنا يا (آدم)!!" قالتها بصوتٍ غير مسموع مُتأثرةٍ بإصابتها العنيفة، لكن سمعها زوجها المُلقى بجانبها قبل أن يغيبَ عن الوعي، يُطلق (هاني) رصاَصة أخرى في رأس (سلمى)، لتفقد على إثرها حياتها، في تلك الأثناء يعتلي (آدم) عدوه، جالسًا على صدره، لاكمًا إياه بكلتا يديه، والدماء تتهاطل من وجهيهما فيتدخل (هاني) راكلًا (آدم) في رأسه بقدمه، فينقلب (آدم) على ظهره، وقد نال منه التعب، يجلس (هاني) فوق صدره واضعًا فوهة سلاحـ ـه بداخل فمه، يُطبق (آدم) جفنيه وقد خارت قواه تمامًا، يجلس (يامن) خلف صديقه على رُكبتيه مُمسكًا بالسكين، يرفعها عاليًا ويُقحمُها بكل ما أُتى من قوةٍ في رأس صديقه من الخلف،

لتخرج من فمه، فيسقُط (هاني) فاقدًا حياته، بعدما أفقد الكثير حيواتهم، يقترب (يامن) زاحـفًا على يديه وركبتيه من محبوبته (ريم)، يتأملها وهي تذرف الدماء من جرحها، يبكي فتختلط دموعه بدمائه، وتسقط قطرات المزيج على وجهها، يتحسس ملامحها برفق، فتنظر إليه بعينينِ واهنتينِ منهكينِ، يأخذ (يامن) هاتفًا ملقى على الأرض ويستدعي الشُرطة والإسعاف، ويغادر بعدما وضع قُبلة على جبين حبيبته، فارتسمت شفتاه على جبينها بحبر الدماء.

******

إنهيـــار

يقف المُقدم (يحيى) في غُرفة التحقيقات أمام المُتهمة (شيرين السيد اليمني) كما هو مُثبت أمامه في الأوراق، يستجوبها منذ ساعة بدون فائدة، بسبب كلماتُها العجيبة وغير المفهومة، بدأ الغضب يُسيطر عليه مُعتقدًا أنها تحاول المُماطلة، فيسألها بصوتٍ أجش غليظ مُحدقًا عينيه بحدة وشراسة:

ـ "كُفِّي عن العبث، وأخبريني، لماذا عُدتِ إلى مصر بعد كُل هذه السنوات؟"

تصطك أسنانها مُرتجفة خائفة غارقة في بكائها، ترد عليه بأنينها.. مُتعلثُمة، قائلة:

ـ "لا أعلم أي شيء، هو من قام بكُل شيء، أنا لم أغادر مصر من قبل".

يزداد المُحقق احتقانًا نافثًا الهواء بغضب، يجلس أمامها كاتمًا امتعاضه بداخله، سائلًا بنبرة مُتزنة، مُقطب الوجه:

ـ "لماذا عُدتِ إلى مصر يا (شيرين)؟ وكيف تعرفتِ على (عادل)؟ وما هي خططكم؟"

تنهار (فريدة) باكية بحرقةٍ مُفرطة، ترد عليه صارخة بهوس:

ـ "أنا لستُ (شيرين)، أنا (فريدة إسماعيل البدوي)، لم أغادر البلاد من قبل، أنا شقيقته، مُتزوجان مُنذ الصغر، نحكم العالم مُنذ القِدم، سنُنجب كثيراَ من الأبناء ليرثوا الحُكم، ليكملوا الطريق، لا أعلم لَماذا تفعل معي هكذا، أرجوك، اتركني، وأنا لن أخبره بأمرك، أرجوك اتركني!"

يصمت المُحقق قليلًا قبل أن يُغادر الغُرفة، مُتوجهًا إلى قائده الواقف

خلف لوحٍ زُجاجي، يسمح له برؤية من بداخل غرفة التحقيقات، ويمنع من بالداخل رؤية من بالخارج، يؤدي المُقدم التحية العسكرية إلى قائده اللواء (مُراد أبو الخير)، يتحدث الأخير سائلًا دون أن ينظر إليه، مُتفحصًا بعينيه (فريدة) من خلف الزُجاج:

ـ "ماذا حدث؟"

يجيبه المُقدم بنبرة قلقة:

ـ "سيّدي اللواء، هذه المرأة إما أنها مجنونة وإما أنها تحاول تمثيل الجنون وإما ...".

= "وإما ماذا؟"

يتنهد المُقدم (يحيى) مُجيبًا قائده في هدوء:

ـ "وإما نحنُ بصدد مشكلة كبيرة!"

******

وصلت الشُرطة والإسعاف إلى منزل (ياسر)، أخذوا جميع الضحايا والمُصابين، ونجح الأطباء في مُعالجة جروح (آدم) وكدماته، كما استطاعوا استخراج الرّصاصة السطحية التي أصابت كَتف (ريم)، لتبقى بعدها تحت المُلاحظة، وقد دُفنت (سلمى) مع (والدة آدم)،أما عن الفتاة الرضيعة فهي بخير حالَ، وعلى النقيض تمامًا والدها (ياسر)، يُجاهد الأطباء لإنعاشه من جديد فقد أجرى حتى الآن في غضون يومين فقط ثلاث عمليات جراحية، ولم يستفق بعد!

تجلس (ريم) بجانب (ميرنا) التي لم يُصبها سوء أمام غُرفة العناية

المُركزة، مُسهدة تمامًا شاردة في اللا شيء، داعية ربها بقلبها أن يستفيق خالها، فهي أضعف من خسارته، عيناها تلمعان مُمتلئتان بالدموع، تتساءل في نفسها، وقد ضعُفَ إيمانها "ماذا ارتكبت في حياتي ليحدث معي كُل هذا! إنها حياة تعجيزية، لا وجود فيها لشيء سوى الحسرة، ليتني متُّ قبل أن آتي إلى هذه الدُنيا، صدمة تليها صدمة ثُم صدمة، أنا حقًّا سئمتُ هذه الحياة اللعينة!" تُطبق جفنيها لتسقط منها دمعةٌ على استحياء، حزينةٌ والحُزن يأتي مُغتصبًا مُهللًا كغوغاء باغية، كما يأتي الفرح على مللٍ على مَهلٍ كعذراء فاتنة.

تنظر (ميرنا) إلى صديقتها مُلتمسة شيئًا من جراحها، فتأخذ رأسها برفق على صدرها قائلة:

ـ "أنا أشعر بكِ، أنا بجانبك، وسأكون دائمًا بجانبك".

تبكي على صدر صديقتها وابنة خالها، دافسة وجهها فيها، لا تود المُغادرة، بحاجة ماسّة إلى من يحتضنها هكذا، لمن يحتوي آلامها، تتحدث بنحيب مُتقطع قائلة:

ـ "هو ليس جرحًا فيلتئم، ليس حدثًا فنَعتبر، ليس ألمًا فيَشفى، ليس فراقًا فينَسى، بل هو خراب، خرابٌ لا يُمحى".

******

يقف اللواء (مُراد) أمام (فريدة) بشخصه الجذاب، المُخيف، له من الوقار ما يُرغم الجميع في أي مكان على احترامه دون معرفة هويته، عريضُ المنكبين بقامة فارعة، شعر رأسه أبيض وكذلك شاربه، يرتدي بدلة سوداء زادته أناقة، يُشعل سيجارة مُترجلًا بخطوات بطيئة حول

(فريدة)، وقد نال منها الخوف، فتَلِفت أعصابها، غير قادرة على السيطرة في ارتجافاتها، يلتف اللواء حولها بخطوات مُتزنة كعقارب الساعة، حتى يستكمل لفته ليقف أمامها، يشهق كأَنه سيتحدث، ثُم يُعاود خطواته حولها من جديد، فتزداد انهياراً، ويعلوا أنينُها، مُجدداً يقف أمامها اللواء، فتنظر إليه في توسل، فيترجل حولها من جديد، صـ وت حذائه على الأرض يدُق كالفأس على رأسها، يتوقف عن خطواته خلفها، مُقترباً من أذنها قائلًا في هدوء:

ـ "(شيرين السيد اليمني)، (فريدة إسماعيل البدوي)، أيهما تُفضلين؟"

تُجيبه بنبرتها الواهنة، بشفتيها المُرتعشتين:

ـ "فريدة".

يستكمل خطواته، ليقف أمامها قائلًا:

ـ "حسناً ولو أخبرتِني أنكِ اللواء (مُراد أبو الخير)، سأناديكِ بذلك، لا مُشكلة".

يستنشق نفساً من سيجارته، ويستكمل قائلًا:

ـ "قُبِضَ حتى الآن على مائة وخمسين رجل وامرأة مُتعاونين مع (عادل)، لا توجد فرصة في النجاة لأي منهـم، أنتِ الوحيدة يا (فريدة) التي باستطاعتها الإفلات من حبل المشنقة".

يلتف مُجدداً ليستقر خلفها، يقترب منها برأسه هامساً في أذنها قائلًا:

ـ "السؤال الحقيقي الآن، هل ستستغلين هذه الفرصة التي أمامكِ أم لا؟"

تومئ إليه برأسها موافقة قائلة بهوس:

ــ "نعم، نعم، سأفعل أي شيء، أي شيء تريده".

يضع يده على رأسها برفقٍ قائلًا:

ــ "أحسنتِ يا (فريدة)، أحسنتِ".

يستكمل خطواته ليقف أمامها مُجددًا سائلًا:

ــ "كيف إذًا ستُسلميني الرجل الذي فرّ هاربًا ليلة زفافكما؟ كيف ستُسلميني الرجل الذي تركك للجحيم بمفردك؟ كيف تُساعدين نفسكِ، وتحتفظين بحياتك؟"

تجثو على رُكبتيها راجية مُتمنية قائلة باستجداء:

ــ "أقسم لكَ بالله إنني لا أعرف مكانه، لا أريد الموت، سأفعل أي شيء، أقبَل قدمك أن ترحمني".

قالتها وهمّت بتقبيل حذائه، فيَمسك كتفيها بيديه، ليعيدها إلى مقعدها قائلًا:

ــ "أنا أعلم أنكِ صادقة، لكن هنالك دائمًا خيطٌ رفيع يقود المرء إلى الحقيقة والخلاص".

تهزُ رأسها نفيًا ناظرة إلى الأرض في يأسٍ بلا أمل، ترفع رأسها فجأة مُحدقة عينيها فيه قائلة بلهفة:

ــ "أريد حقيبتي دون أن ينقصها شيء!"

******

ما زالت (ريم) في محلها، تأبى مُبارحة مكانها حتى تطمئنُ على خالها، فشلت جميع مُحاولا ت (آدم) و(ميرنا) لإقناعها بأخذ قسطِ من الراحة، حتى لاقت تعاطف المُمرضات وإحسانهم فأصبحوا يطمئنون عليها كُل حين والآخر، عقلها يفقد إدراكه على مراحل مُتقطعة، فحين تنظر إليها، وترى ملامحها الباهتة، تشعر أنها مُدمنة على المُخدرات في مرحلة التعافي، تُعاني أعرا ض الانسحاب، ضَعُفت قواها الجسدية بشدة بشكلٍ ملحوظ، في غضون ثلاثة أيام فقط، لا يوجد شيء قادر على فعل ذلك في الإنسان بتلك السرعة إلا الألم النفسي، فهنيئًا لمن لم يسر الحزن على روحه من قبل.

يخرَج الطبيب من غُرفة العناية المُركزة، فتفزّ (ريم) واقفة قائلة له برجاء:

ـ "أرجوك أيها الطبيب، أخبرني، ماذا يحدث؟"

يضع الطبيب يديه على كتفيها قائلًا برزانة:

ـ "اهدئي يا ابنتي، اهدئي، وتمالكِ أعصابك، فلا يوجد ما يستدعِ القلق".

= "وكيف أهدأ وأنا أرى طبيبًا يخرَج والآخر يدخل ثُم يخرَج وآخر يدخل، أرجوك أخبرني، ماذا يحدث؟"

ـ "يا ابنتي أنا أراكِ مُجهدة للغاية، اطمئنِ، فنحن ما زلنا نحاول معالجته".

تعلو نبرتها قائلة بانهيار:

ـ "بالله أن تُخبرني بحالته، أرجوك".

يُجيبها بتعاطف قائلًا:

ـ "أرجوكِ أنتِ أن تهدئي، فهو بخير ونبضه مُنتظم، لكن الخبر المؤسف أن الرِصاصَة أَصابت النُخاع الشوكي، فسببت له شللًا، ولن يستطيع السير مُجددًا، ندعو الله أن يستطيع التحدث".

تسقط (ريم) على الأرض واضعة كفيها على وجهها، لتُخرج فيهما دموعها، تجلس (ميرنا) جانبها مُحتضنة إياها، وقد فشل الاحتضان هذه المرة من تخفيف حدة جراحها، القلبُ ينزف صارخًا "أموت في نفسي، وقد صِرتُ كُتلة من الأحزان، فقدتُ روحي وضاع اسمي ما بين اليأس والهوانِ، ما حيلتي الآن؟ أنا عنوان الحيرة والحرمان"، تنظر إلى السماء راجية بدموع الجفنان "رُحماك يا رب، رُحماك يا رحمَن".

******

يجلس (يامن) وحيدًا مملوءًا بالتعاسة والإحباط، عيناه حمراوان بشدة، وقد تشكلت حولهما هالة سوداء، يُدخن السجائر بشراهة كبيرة، كأنها هي غذاؤه الشهي، وهو هارب من مجاعة عظيمة، يُفكر في كُل شيء، يُفكر في الماضي والمُستقبل، يشعر بهبوط في ضغط الدم على رغم أنه جالس لم يبذل أي مجهود، فيستلقي على الأريكة التي هو جالسٌ عليها، تمر أمام عينيه حياته برمَتها في صورة مشاهد بطيئة، يرى نفسه حين كان في السابعة من عُمره، جالسًا أمام والده في منزلهم بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية، يستمع له بتمعن كطفل بار بوالده، وهو يخبره أنه لديه شقيق، يمكث مع والدته بمصر، لكنهم اضطروا إلى الابتعاد عنهم لأن والدته امرأة سيئة، تفعل أشياءَ بغيضة، لم يفهم حينها تلك الكلمات، لكنه احتفظ بها، ولم ينسها قط، حتى

صار رجلًا واستدرك تلك المعاني، يومها أخبره والده أن اسمه لم يكن (يامن)، بل كان يُدعى باسم آخر، وهو إلى الآن لا يعلمه، تأتي أمام عينيه صورة اليوم المشؤوم، حين كان بجانب والده في السيارة وانقلبت بهما، وتُوفي والده، ليَشرد هو من بعده، حتى تقابل مع رجُل يمتلك مطعم لصنع الدجاج، عرض عليه الأخير العمل كعامل نظافة مُقابل أن يتكفل هو بمصاريف دراسته ويُعطيه وجبة طعام واحدة في اليوم، وينام ليلًا في المطعم بد لًا من الشارع، لم يكن أمامه عرضًا أفضل ليرفض ذلك، يعتصر جفنيه مُتأسفًا حين يأتي ذلك المشهد أمامه لمّا كان يلتهم بقايا الطعام المُلقى في صندوق القمامة دون أن يراه أحد.

يشتدَّ عليه الهبوط، ويبتل جبينه بنقاط العرق، تتشكل أمام عينيه سحابة سوداء، مُستحضِرًا الما ضي حين كان في السابعة عشرة من عُمره، وقرر العودة إلى مصر؛ للبحث عن والدته التي لا يعرف حتى اسمها، للبحث عن شقيقه الذي لا يعرف عنه شيئًا، استكمل تعليمه ودَخلَ الجامعة، في الوقت نفسه اضطر إلى العمل للإنفاق على نفسه، ليستطيع مواكبة الحياة ومتطلباتها من مصروفات دراسية، لمصروفات المعيشة كالطعام والسكن والملابس، يُذاكر في أثناء عمله بائعًا للورد في أحد المحلات بعزم الفتيان وطموحٍ لا نهاية له.

يشتد عليه التعب، فيقع على الأرض، يسمع صوت نبضات قلبه المُتزايدة، ويُحكم الصفير قبضته على أذنيه مُتذكرًا (ريم) التي أحبها بكُل نُقطة من دمائه، وقتها فقط أصبحت لحياته قيمة فضاعف أوقات عمله ليزداد أجره، وذلك ليستطيع التقرب منها وخُطبتها، يذهب إلى الجامعة صباحًا، ويعود إلى العمل حتى مطلع الصباح، لا ينام وذلك لا يُهم، فنظرةٌ منها تستحق العناء، يتذكر شغفه بها، وعدم

قدرته على الاحتمال فاستوقفها مُصارحًا إياها بمشاعره، فقاطعته هي في مُنتصف حديثه قائلة "أقدِّر كلماتك الرقيقة ومشاعرك تجاهي، لكن أرجو أن تتفهمني، فأنا مُرتبطة"، ليلتُها بكى حتى بُح الصوت من حنجرته، وحن عليه عقله مُتوقفًا عن العمل ليَغشى عليه، ويقع نائمًا، مرَ على كلماتُه ا عام كامل، ولم يستطع نسيانها، يُجاهد في مُحاولة تخطيها، وكُل مرّة يفشل مُعترفًا في قرارة نفسه أنها هي من خُلقت لعينيها الحياة، ولها فقط خُلق الهيام، فقرر المُحاولة مرةٌ أخرى، لعل الله يُحدث بعد ذلك أمراً، فقال لها "أرجوكِ يا (ريم) اسمعيني جيدًا، هذا ليس ثِ قلًا مني، لكن أقسم لك إنني لا أقوى على العيش بدونك، امنحيني فُرصة لأنال إعجابك، أريد خُطبتك ولو مدة قصيرة، وبعدها اتخذِي قرارك"، فأجابته بحرجٍ ممزوج بشفقة "أنت تضعني في موقف حرجَ للغاية، أنا... أنا مُرتبطة بآخر، وفي حُكم المخطوبين، أنا آسفة للغاية، وأتمنى أن تعذرني"، دست أصابعها في صدره، واقتلعت قلبه، وغمسته في دلواَ مملوءاَ بالسولار، ووضعته على مقربةٌ من النيران؛ ليشتعل بفعل الحرارة؛ ليستوي قبل أن يحترق، قبل أن يموت، هو يعلم جيدًا أن الحُب مثل الدين لا إكراه فيه، ولكن ماذا عساه يفعل فيما لا يمُلك عليه أم راً، فهذا الكم الهائل من العشق مؤذ للغاية، مرت الأيام على رقبته كالسيف التالف، لا هو يذبحه، ولا هو يُخلصه، فقط يؤلمه مُعمقًا جراحه، حتى جاء اليوم المنشود وابتسمت له السماء لمّا ابتسمت له فتاة قلبه، نعم ابتسمت له (ريم)، وفي بسمتُها رائحة الجنة، ظنَ أنها علامة من السماء فاقترب منها قائلًا "هذه ابتسامة صداقة أم ابتسامة شفقة؟" فهمست له قائلة على استحياء "كلا، إنها ابتسامة موافقة"، لم يتردد في أن يهبط إلى كفيها مُقبّلًا إياهما برفقٍ،

جاثيًا لمولاته بقلبٍ خاشعٍ مُحبّ صادق، ساجدًا على قلبها بروح رجُل عاشق، "نعم، أنتِ الجنة، وأنا الشيخُ الحاذق، أنتِ البحر، وأنا الغارق، أنت الخمرُ وأنا الفاسق"، هكذا قال في نفسه، وتقدم إلى خطبتها، ويا لَلأسَف فبعد أربعة وعشرين ساعة فقط أخبرته عبر الهاتف باعتذار مُخيب للآ مال، إنها مُضطرة إلى الانفصال! بعد ذلك بيوم واحد خُطبت على محبوبها (آدم)، فأدرك حينها أنه لم يكن إلا أداة للضغط على محبوبها، وجال في خاطره شِعرًا قرأه في صباه "قد كُنتُ أحسُبني منكُم على ثقة، حتى مُنيتُ بما لم يجرِ في بالِي ، أدهى المصائب غدرٌ قبله ثقةٍ، وأقبح الظُلمُ صدٌّ بعد إقبالِ".

اعتُصِر قلبه، وقد جُن جنونه، فقام بشراء سلاح ناري ووقف أمام (آدم) في مُنتصف الطريق العام، وكأنها اقتلعت عقله مع قلبه، وقبل أن يُطلق رصاصته، أبعد يديه قليلًا حتى لا يقتله؛ لأنه لم يكن قط قاتلًا، انقضَّ عليه (آدم)، حتى جاءت الشُرطة، وقُبِضَ على (يامن) لحيازة سلاح ناري، ومحاولة قتل (آدم) وجميع المارة شهود على ذلك، لكنهم ليسوا شهودًا على ما في قلبه.

التشويش مُمتزج بالصُداع، يُقيمان حفلًا في رأسه، يزداد تعرقًا، ويعلو صوت الصفيرُ في أذُنيه مُتذكرًا (هاني)، بعد هروبهم من السجن، أخذ قراره بعدم تسليم نفسه إلا بعد لقاء حبيبته وإقناعها أنه ليس قاتلًا، ليسألها لماذا تلاعبت به! ليطلب منها فُرصة ولو لمرة أخيرة، حتى لو كان ذلك على حساب كرامته، فهو لا يقوى على التعايش في بُعدها، ولكي يصل إلى هذه اللحظة، اضطر إلى مُسايرة ذلك المجنون الذي يمتلك مأوى وأموالًا، حاول جاهدًا إنقاذ ما يُمكن إنقاذه دون أن يشعر صديقه بشيء، فحين قال (سالم) إنه يودَّ تسليم نفسه للشُرطة، رفض

(يامن)، لكنه لم يُخيَل إليه أن (هاني) سيَبرحه ضرباً، ويبتُر ذراعه، حينها قام (يامن) وادعى أنه سيأخذ الفتى ليَلقي جُثته في القمامة، بعد أن يتأكد من موته، لكنه في الحقيقة ذهب به إلى أحد المُستشفيات الحكومية، وترك له رسالة ورقية في جيبه، قائلًا فيها بكُل أسف:

"صديقي (سالم)، لا يوجد شيء أقوله يجعلك تُسامحني، كُل ما حدث هو خطأي، ليتني تركتُك تذهب من البداية، وليت التمني يُفيد بشيء، أقسم لكَ إنني لم أتخيل ولو للحظة أن ذلك المخبول سيفعل ذلك، أخجل بشدة لأطلب منك العفو والسماح، ولكنك ذات قلبٍ نقي، صافٍ، أنا آسف بشدة، آسفٌ بحق".

تركها له، وغادر المُستشفى قبل أن تصل الشرطة، وقد اعترف أنه أخطأ خطئًا لا يُغتفر، فلم يكن هنالك داعٍ لمنع الفتى من تسليم نفسه في البداية قبل أن يعود (هاني)، ويفعل ما فعله، يتمنى من صميم قلبه أن يُقابل ذلك الفتى ذات يوم، حتى يرحمه من الجَلد الذاتي.

يتذكر أسرة المُقدم (يحيى)، يومها أخبره (هاني) أن يبقى في السيارة، وإذا وجد أحدًا يدخل المنزل يُخبره فوراً؛ ليتجهز للاشتباك أو يفرَ هارباً، فقرر (يامن) أن يتصل عليه فور أن يصعد؛ ليَخبره بوجود دورية شُرطة تمرّ في الحي، حتى لا يسمح له المساس بأحد، مانعًا إياه من ارتكاب أي جريمة قبل أن يصل إلى الشقة، لكن يشاء القدر أن يظهر له ضابط حقًّا، يطرق على زجاج السيارة سائلًا عن هويته، حينها اختلطت المشاعر، لا يعرف هل يُخبره بوجود مذبحة مُقامة في ذلك المنزل المُقابل أم لا، هل يستسلم لمشيئة القدر، ليعود بعدها مع صديقه إلى السجن، دون أن يراها ويُخبرها أنها هواؤه الذي يتنفسه، دون أن

يسألها مُعاتبَا عاشقًا لعينيها، فقرر إخبار الضابط بعد أن تغلبت عليه فطرته الإنسانية، فشهرَ الضابط سلاحه الناري في وجهه داعيًا إياه بالمخبول، لم يجد سبيلًا حينها إلا العراك، ونجح في مُباغتته، طارحًا إياه أرضًا، مُقتلعًا سلاحه الميري من يُمناه، وأسرع عائدًا إلى السيارة قائدًا بسرعة، فأسرع خلفه الضابط بدراجته النارية، وعند مُفترق الطُرق، ألقى (يامن) السلاح إلى اليمين، واتجه هو إلى اليسار فاضطر الضابط إلى الذهاب خلف سلاحه، عاد (يامن) مُسرعًا من شارع مُجاور مُتصلًا بصديقه، ليُخبره أن يخرُج بسرعه، وقد فات الأوان، وقُتلت الفتاة الصغيرة ابنة المُقدم (يحيى)، كما أُصيبت والدتها برصاصة، في الحقيقة لم يكن ليَصيبهم مكروهًا، لو لم يظهر ذلك الضابط، نعم هو قام بعمله ولا عيب يشوبه في ذلك، لكن ظهوره في ذلك الوقت بالتحديد، وعدم تصديقه لكلمات (يامن)، كُل شيء وقف عائقًا أمام حُرية الطفلة الصغيرة ووالدتُها، دائمًا يبقى الإنسان عاجزًا أمام مشيئة القدر، حمّل (يامن) نفسه مرةٌ أخرى مسؤولية ما حدث، واتخذ قراره بالاتصال بالشرطة، وتبليغهم عن مكان ذلك السفاح؛ ليرحم بذلك كثيرًا من الأرواح ومرة أخرى تأتي الظروف لصالح صديقه، فالشرطة تولي كامل اهتمامها لمحاولة السيطرة على الفوضى العارمة المُجتاحة في البلاد، وقد فرّ عديد من السُجناء من مُختلف السجون، وانتشرت السرقة بفعل الفوضى، فالجهاز الشُرطي كان في موقف عصيب للغاية، مُكرس كامل رجاله للسيطرة على الأوضاع؛ أملًا في عودة الاستقرار.

يغيب عن الوعي تائهًا في ذكرياته مُ تذكرًا ذلك اليوم في ڤيلا (شريف)، كان على يقين أن جميع من بداخل هذه الڤيلا لا يختلفون عن صديقه في ظُلمه، لكنه اضطر إلى العبور في ذلك اليوم مغلوبًا على أمره، حتى

جاء ذلك اليوم في منزل (ياسر)، يومها قبل صعودهم الدَرج، قال لصديقه وهما جالسان في السيارة:

ـ "انتظرني هنا، سأصعد إليها بمفردي".

= "أنا لا أفهم، لماذا لا تستوقفها في الطريق، وتُخبرها ما تُريد؟"

ـ "لن تقف، ولن تستمع لي مهما فعلت بعدما شهرت سلاحًا في وجه حبيبها".

= "حسنًا، دعني أصعد معك، فأنا أود لقاء أخي، والحديث معه كذلك".

تنهدَ (يامن) قائلًا:

ـ "حسنًا، ولكن عدني أنه لن يُقتل أحد اليوم، أعلم أنك على خلاف مع شقيقك، لكنني أعلم كذلك أنه لا يستحق أن يُصاب بأذى، لا يوجد في ذلك المنزل إلا (ريم) وخالها وزوجته، جُلُّ ما أريده هو أن أتحدث إلى (ريم) بانفراد، بالتأكيد سيعترضون، سنحاول إقناعهم بهدوء ورصانة، لن تشهر سلاحًا مهما حدث، حتى لو لم يسمحوا لي بذلك بأي طريقة، حتى لو اعتدوا علينا، فسنعود دون أن تُشهر سلاحًا، أفهمت؟"

أجابه صديقه قائلًا بابتسامة ماكرة:

"حسنًا، أعدك بذلك".

وبمجرد أن فتح لهم (ياسر) الباب، أرداه شقيقه بسكينًا في بطنه، فنظر إليه (يامن)، لا يعرف ماذا يفعل، وفوجئ بـ (آدم)، الذي لم يكن يعلم بوجوده من الأساس، ينقضُّ عليه، وكُلما حاول الإفلات من قبضته

يتمسك به (آدم) رافضًا خلاصه، حتى خلّصه (هاني)، وبمجرد أن سنحت له الفُرصة، فعلَ ما كان يجب أن يفعله من البداية، يعترف (يامن) في قرارة نفسه أنه ا رتكب كثيراً من الأخطاء، لكن يبقى خطأه الأكبر هو الثقة في وعود ناكث العهود.

مُستلقى أرضًا، يُصارع ذكرياته الأليمة، يتردد في عقله سؤال واحد "ماذا سأفعل الآن؟ ماذا سأفعل الآن؟" يشهق مُستفيقًا من غيبوبته، غارقًا في عرقه، وقد أدرك تمامًا ماذا سيفعل الآن!

******

حين يشعر الإنسان أن حياته على المحك، يُبدع في مُحاولة النجاة، حتى لو اضطره الأمر إلى العبور على أرواح الآخرين، فقط لتبقى روحه في سلام، هذا ما فعلته (فريدة)، وقد أخبرت اللواء عن شريحة هاتفُها السرية التي تتواصل من خلالها مع شقيقها، استغرق اللواء ستين دقيقة مُنغمسًا في التفكير، واضعًا أمام عينيه كُل الاحتمالات المُمكنة، فمن المُمكن أن تخبره بحقيقة الأمر لتُساعده على الهرب، من المُمكن أن تفعل المُتفق عليه، وتُقع به فداءَ لروحها، بعد تمعن كبير أصدر اللواء قرارًا بإخلاء سبيلها لعدم وجود ما يُدينها، وإذاعة ذلك الخبر عبر جميع القنوات التليفزيونية، وبالفعل تسابقت الفضائيات لنقل ذلك الخبر"إخلاء سبيل سيدة الأعمال (شيرين السيد اليمني)، زوجة الإرهابي الهارب (عادل البدوي)، لعدم وجود ما يُدينها"، مُحاطة بمُراقبة شديدة بواسطة فريق كامل مُكون من عشرين ضابط بخلاف أمناء الشر طة، مُكلفون بتتبعها ومراقبة أنفاسها وحركات عينيها، كما يوجد أيضًا فريق من المُهندسين المُختصين في الاتصالات والتكنولوجيا مُكلفون

بمُراقبة هاتفها وخطوط الاتصال الخاصة بها.

تجلس في الڤيلا بعد مرور ثلاثين ساعة على إخلاء سبيلها، تأتيها إشارة من اللواء أن اللحظة الحاسمة قد حانت، وعليها إتمام مُهمتها، فتُخرج شريحتُها السرية لتتصل على رقم شقيقها غير المعروف لأي أحد آخر سواها، تستمع إلى رنات الهاتف بقلبٍ خافق، خائف، مُضطرب، يُجيبها محبوبها قائلًا:

ـ "حبيبتي، لقد اشتقتُ إليكِ بشدة، كيف حالك؟ لقد علمتُ أنه تم إخلا...".

تُقاطعه قائلة بنبرة عاليةٌ سريعة:

ـ "هذا كُله فخ للإيقاع بك، اهرب، وكُن صامدًا حتى الرمق الأخير!".

قالتها، وألقت الهاتف أرضًا، في حين اللواء يستمع إلى المُكالمة من داخل غُرفة القيادة بمقر العمليات، يضرب بيمينه على المكتب أمامه قائلًا بغضب:

ـ "فلتُحضروا لي هذه الساقطة، الآن!".

يلتفت إليه أحد المُهندسين قائلًا:

ـ "سيَدي اللواء، لقد وصلنا إلى المنطقة التي يتحدث منها، وهي مدينة نصر، لكننا لم نستطع تحديد موقعه بالتفصيل لأن المُكالمة انتهت بسرع...".

يُقاطعه اللواء قائلًا بصوتٍ غليظ أصاب الجميع بالفزع:

ـ "(يحيى)!"

يُجيبه المُقدم (يحيى) بانتباه عسكري قائلًا:

ـ " مرني يا سيّدي".

يتحدث إليه اللواء قائلًا بصرامة حاسمة:

ـ "ليتجهز الرجال في الحال، وتستعدُ الطائرات، سنُقيم حربًا في وسط المدينة!"

******

تجلس (ريم) بين خطيبها وابنة خالها أمام (ياسر) بعد أن تجاوز مرحلة الخطر، ونُقِلَ من غُرفة العناية المُركزة إلى غُرفة أخرى، ليُباشر فيها تعافيه، يوجد بجانبه محلول مُعلق على عمود حديدي موصول بيده اليَسرى، يفتح عينيه كُل حينٍ وآخر على استحياء دون أن يشعر بنفسه، أما (ريم) فهي لم تُغادر المُستشفى قط، يتوسل إليها عقلها لتمنحه بعض الراحة والنوم وقد أقسمت هي ألّا يُغمض لها جفنٌ حتى تطمئن على من رباها، أما (ميرنا) و(آدم) فهما أيضًا مُجهدان، لكن ساعات النوم القليلة ساعدتهما على التماسك أكثر منها، تتحدث (ميرنا) قائلة:

ـ "سأذهب أنا لشراء بعض الطعام".

تُشير إليها (ريم) برأسها نعم، وعينيها مُعلقتان بوجه خالها، فتتحدث (ميرنا) مُجددًا:

ـ "هل تُريدين شيئًا من الخارج؟"

تُشير إليها (ريم) لا، فتذهب (ميرنا) ليقف (آدم) قائلًا:

ـ "سأذهب أنا يا (ريم) إلى الشركة لأحاول تجديد إجازتي، سأعود سريعًا".

تُومئ له برأسها نعم، وما زالت شاردة في ملامح خالها، يذهب (آدم) ليتركها في صمتٍ تام مُتأملة خالها بعينين مُجهدتين مملوءتين بدموعٍ مكسورة، وآهاتَ مبتورة، وروح يائسة تائهة معدومة، يفتح (ياسر) عينيه بإرهاق، فَتبتسم له (ريم) بحُزن، ظنًا منها أنه سيعود لغفوته ثانيةٌ، فيفَاجئها بنبرة مُتعلثُمة مبحوحة قائلًا بهمس:

ـ "ابنتي".

تشهق (ريم) واقفة فاتحة فمها، وقد عادت إليها روحها، تُلقي نفسها عليه مُحتضنة رأسه، تُقبَل جبينه قائلة:

ـ "لقد متَّ في جسدي اشتياقًا لصوتك".

تُقبَل جبينه مُجددًا، رافضة أن تترك رأسه، تُجاهد مُحاولة حبس دموعها، وكثيراَ ما كانت فاشلة في ذلك الأمر، فيفضحها أنينها في صوتها وهي تقول:

ـ "إياك أن تتركني أبدًا، أنا لا أساوي شيئًا بدونك".

يتنفس بهدوء مُتمتمًا بصوتٍ يكاد يكون مسموع:

ـ "احذري من (آدم) جيدًا!".

لم تفهم ماذا يعني بذلك، وحالته لا تسمح بقول المزيد، فهو بالكاد يُخرج الحروف بمعاناة، فتنظر إليه (ريم)، ولم تهتم لأي شيء سوى أن يكون بخير، فتتحدث قائلة:

ـ "لا تُجهد نفسك بالحديث، ارتح الآن، وأنا هنا بجانبك".

يبتلع لُعابه بصعوبة بالغة قائلًا بملامح مُنهكةٍ تمامًا:

ـ اذهبِ إلى المنزل وارتح...".

تُقاطعه (ريم) قائلة:

ـ "لا تُرهق نفسك بالحديث أرجوك، فأنا لن أبرح مكاني على أي حال، سأظل بجانبك دائمًا".

يُغلق عينيه من فرطُ التعب قائلًا بنبرة الكمان الحزين، بعد أن تلفت مفاتيحه:

ـ "أنتِ تُزيدي من تعبي حقًّا، أرجوكِ، ارتاحي قليلًا".

تضع (ريم) قبلة على رأسه قائلة:

ـ "حسنًا، حسنًا، سأذهب الآن، وأعود لك في المساء".

يُشير إليها بعينيه موافقًا، فتُغادر الغُرفة، لكنها لم تُغادر المُستشفى، وقفت أمام غُرفته قليلًا حتى تأكدت من نومه، ثُم عادت إليه جالسة بجواره، فلم تُسول لها نفسها أن تتركه خشية أن يُريد شربة ماء ولا يجد من يُخبره، لم يسمح لها قلبَها الوردي بذلك، فعادت إلى مقعدها بجانبه واضعة جبينها على حافة فراشه؛ لتغفو قليلًا بجانب قلبه الجريح، هذا وقد تجسّد لها الحنانُ في خشوع، قائلًا "أنتِ الحُب العفيف، والمَحبوبة الطاهرة، والحَبيبة الصادقة، والمُحبة المُخلصة، والمَحَبة الصافية، فإن لم يكن الـ حُب هكذا، فلا بأس من عدَم وجوده".

******

الحُــب والحــرب

حُوصرت مدينة نصر بالكامل من قِبل رجال الشُرطة، كما مُنع أي أحد من الدخول أو الخروج من تلك المنطقة بالكامل، توجد مروحية تُحلق في السماء لرصد أي حركة مُريبة وعلى أتم استعداد للضرب والاشتباك في أي لحظة، كُل ذلك صعب للغاية على السُكان المحليين، لكنهم بعقلٍ واعي، تفهموا خطورة الموقف والتزموا بيوتهم، أما من داخل مقر القيادة، فيقف اللواء (ياسر) أمام عديد من الشاشات التي تنقل له البثَّ الحي، يدخل المُقدم (يحيى) مُستسمحًا سيّده في كلمة على انفراد، فيصطحبه اللواء بعيدًا سائلًا:

ـ "ماذا يوجد يا (يحيى)؟"

= "اعذرني يا سيَدي، لكن حتى الآن لا يوجد فائدة من مُحاصرة المنطقة، كُل ما فعلناه هو نشر الذعر بين سُكانها!"

يُشعل اللواء سيجارة، يسحب منها نفسًا ويتحدث قائلًا:

ـ "هذا هو ما يفعله الإرهاب، وهو نشر الذعر في كُل مكان، وبثُ الرَعب في قلوب الأبرياء".

يتنهد اللواء بتفكيرٍ عميق مُستكملًا:

ـ "سأخرج في مؤتمر صحفي، أطالب فيه المواطنين بالصمود والتماسك، وأعدهم أننا لن نهدأ حتى نُمسك بذلك الخائن".

= "قرار صائب سيّدي اللواء، تلك الكلمات سترفع من روح العزيمة والإصرار لدى الجميع، ولكن...".

يتردد المُقدم (يحيى) فيَساعده قائده قائلًا:

ـ "ولكن ماذا؟"

= "أعتقد أنه يجب علينا دفعه للخروج من مخبئه".

ـ "الإرهابي لا يوجد لديه شخصٌ يخاف عليه يا (يحيى)، ولاؤه الأول للمال ثُم السلطة".

يقتحم حديثهما قائد المُهندسين قائلًا:

ـ "سيّدي اللواء، لقد فُتِح هاتف (عادل)، ونحنُ الآن بصدد معرفة موقعه بالتفصيل!"

******

يجلس (ياسر) على فراشه مُريحًا ظهره للخلف كما لو كان صنمًا أو دُمية، بجانبه (ريم) تُطعمه الطعام في فمه لأن الشلل يمنعه من تحريك يده، بجانبهما (آدم) و(ميرنا) يُشاركونهما وجبة الفطور، وقد تحسنت صحة (ياسر) تدريجيًا، فأصبح لسانه مُتحررًا عما قبل، لكنه لا يستطيع تحريك رقبته للنظر يمينًا أو يسارًا، يتبادل أطراف الحديث معهما وكلما حاول (آدم) إلقاء دُعابة أو كلمة لا يلقَ إلا التجاهل والإهمال من جانب الخال المريض، حتى إنه لم يلقَ منه جوابًا حين قال له "سلامات يا خالي"، انتبه (آدم) إلى ذلك التجاهل المُستمر، وانتابه شيء من القلق مُخفيًا ارتباكه بداخل صدره، يتحدث (ياسر) إلى (ريم) سائلًا بنبرة هادئة:

ـ "هل ذهبتِ إلى المنزل أمس؟"

تُجيبه بثقة مُصطنعة قائلة:

ـ "نعم، نعم لقد ذهبتُ وعُدت في المساء، ولكنك كُنتَ نائمًا".

تبتسم عيناه بسخرية سائلًا:

ـ "هل تكذبين على خالكِ يا (ريم)؟"

تبتلع لُعابها ناظرة إلى خطيبها وابنة خالها، ظنًا منها أن أحدهما قد أخبره أنها لم تذهب بعيدًا عنه قط، فيستكمل هو قائلًا:

ـ "لا تنظُري إليهما، لم يُخبرني أحد بشيء، أنا طيلة الوقت كُنت أشعر بوجودك".

تبتسم له (ريم)، لا تعرف ماذا تقول، يأتي صوت بُكاء (رُفيدة) من على الأريكة المُجاورة للفراش مُعلنة استفاقتها من غفوتها، فتلتفت إليها (ريم) وتحملها لتُهدهدها برفقٍ وحنان أموي جميل، فتصمت الرضيعة لحظات، ثُم تعود لبكائها من جديد، فتتساءل (ميرنا) قائلة:

ـ "يبدو أنها جائعة!"

توافقها (ريم) الرأي قائلة:

ـ "هي بالفعل جائعة، وقد انتهى الحليب، سأذهب لشرائه وأعود".

يستوقفها خالها قائلًا:

ـ "انتظري يا ابنتي، خُذيها واذهبِي إلى المنزل، واذهبِي معهما يا (ميرنا)، فأنتم جميعًا بحاجة إلى ذلك يا أحبائي".

تُجيبه (ريم) قائلة:

ـ "راحتُنا تكمن حيث توجد أنت يا حبيبي".

= "كُفِّي عن المُناهدة يا فتاة، واذهبِي لتنالي قسطًا من الراحة، هيا معها يا (ميرنا)".

قالها (ياسر) بعينين مُبتسمتين حاملتين بداخلهما نحيب الدُنيا وما فيها، ولا أحد يعلم حقيقة الأمر، فتذهب (ريم) بجانب صديقتها على مضض بعد ما وعدت خالها بالعودة إليه في أقرب وقت، وقام معهما (آدم) ليقوم بتوصيلهما.

******

يجلس اللواء بجانب المُقدم (يحيى) يتحدثا حول خططهم للإيقاع بذلك الإرهابي الهارب، يقتحم قائد المُهندسين حديثهما قائلًا بلهفة وبسرعة:

ـ "سيّدي اللواء، لقد فُتِح هاتف (عادل) ونحنُ الآن بصدد معرفة موقعه بالتفصيل!"

ينظر إليه اللواء قائلًا:

ـ "عظيم، عظيم للغاية".

يلتفت إلى المُقدم مُستدركًا حديثه:

ـ "اذهب إلى الموقع في الحال، سنبقى على تواصل دائم".

= "حسنًا سيّدي".

قالها المُقدم (يحيى) مُسرعًا في طريقه، في حين اللواء يترجل مُسرعًا بجانب قائد المُهندسين، يجلس الأخير بجانب المُهندسين الآخرين، ويقف اللواء خلفه بانتظار التطورات، تمُر الدقائق كأنها سنوات،

يلتفت قائد المُهندسين قائلًا:

ــ "سيّدي اللواء، إنه هنا في تلك العمارة، العمارة السابعة بشارع الشُّعراء".

قالها وهو يُشير إلى الموقع بالتحديد على الشاشة أمامه، يلتفت اللواء إلى أحد مُساعديه بجانبه قائلًا:

ــ "أريد تقريراَ بسُكان هذه العمارة في غضون ثلاث دقائق".

= "عُلم سيّدي".

قالها وذهب لتنفيذ أوامر قائده، وعاد بعد عدة دقائق حاملًا بين يديه مجموعة من الأوراق، يأخذها منه اللواء، ليبدأ التقصي حول جميع السكان بنظرة سريعة، وبعد لحظات من التركيز في هذه الأوراق، يتحدث في جهاز اللاسلكي قائلًا:

ــ "(يحيى)، هل تسمعني؟"

= "نعم سيّدي، أسمعك بوضوح".

ــ "العمارة السابعة بشارع الشعراء، الطابق الثالث، يوجد بداخله المُشتبه به".

= "عُلم سيّدي".

قالها المُقدم، وأسرع بإصدار أوامره بمحاصرة العمارة والعمارات المُجاورة، الجميع في حالة استعداد لأي شيء يُمكن حدوثه، وأشرف المُقدم بنفسه على إجلاء جميع السُكان من هذه العمارة، ويقف الآن مُترأسًا قوته المُكونة من عشرة ضباط بخلاف أمناء الشرطة أمام باب

الشقة القابعة بالطابق الثالث، لا يعرفون ما هم مُقبلون عليه، فيُرددون الشهادة في أسرارهم، ما عدا اثنين قاما بتقبيل صُلبانهما، يقتحمون الشقة جميعًا مُصوبين أسلحتهم في كُل مكان، لكنهم لم يجدوا شيئًا، لا يوجد شيء إطلاقًا، لا يوجد أثاث وحتى الغُرف بلا أبواب!

يتحدث المُقدم إلى قائده عبر الجهاز اللاسلكي قائلًا بخيبة أمل:

ـ "سيّدي اللواء".

= "ماذا يحدث؟"

ـ "لا شيء، لا يوجد شيء، الشقه فارغة تمامًا، ولا يوجد بها أثاث ولا أى شيء يُثبت أن فيها أحد مُقيم هنا، لكن يوجد غُرفة واحدة بابها من الحديد يُشبه باب الخزينة البنكية، ونحنُ الآن بصدد فتحه".

لم يكن المُقدم يعلم أن جُدران هذه الغُرفة مُدعمة بالرمال والحديد الصُلب، فهي غُرفة من الخرسان، وسُمك الجدار الواحد يتعدى ثلاثة أمتار!

يقف اللواء مُتأملًا أمامه في الهواء، مُفكرًا بتمعن فيما يحدث، يأخذ الجهاز اللاسلكي صارخًا بصوتٍ غليظ:

ـ "(يحيى)! تراجعوا الآن، تراجعوا!!"

يتوقف الزمان بالمُقدم (يحيى) قليلًا، وجال في خاطره ما يُفكر فيه قائده، نعم إنها خُدعة! يتراءى ابنته المُتوفاة أمامه فاتحة ذراعيها إليه، تنفجر الشقة عن بكرة أبيها وتتطاير الجُثث في كُل مكان.

سَمِع اللواء صوت الانفجار، فألقى الجهاز اللاسلكي في الأرض، والشرر يتطاير من عينيه الجاحظة، يتقدم نحوه أحد المُهندسين قائلًا:

ـ "سيّدي اللواء، (عادل) اتصل بنا الآن، ويطلب مُحادثتك!"

******

قام (آدم) بتوصيل الفتاتين والطفلة الرضيعة إلى منزل الخال (ياسر)، وأخذ طريقه إلى منزله ليرتاح قليلا، فلم يجد إلا التفكير والقلق بانتظاره، يتساءل هل هذا الجفاء مقصود أم إنني أبالغ بالأمر! هل اكتشف (ياسر) الحقيقة؟ أسئلة كثيرة تجول بخاطره، وجميع الإجابات ليست في صالحه، أنهكه التفكير فقام مُرتديًا ثيابه، وذهب لشراء ما لذ وطاب من الطعام المشوي والمشروبات الباردة، ثُم ذهب إلى الفتايات، طرق باب شقة الخال (ياسر) ففتحت له (ريم) بترحاب، فدخل سائلًا:

ـ "هل نمتِ جيدًا؟"

= "نعم نمتُ ساعتين، واستيقظت مُنذ ساعة".

ـ "حسنًا، هيا الآن لنأكل".

قالها مُخرجًا الطعام من الأكياس البلاستيكية، وهي تتحدث قائلة:

ـ "لماذا أحضرت كُل هذا؟ لماذا أرهقت نفسك؟"

= "أنتِ بحاجة إلى الطعام يا حبيبتي، هيا، أنا جائع للغاية".

ـ "حسنًا، انتظر قليلًا سأقوم بإيقاظ (ميرنا)".

قالتها، ودخلت الغُرفة لتوقظها برفق خوفًا أن تستيقظ الرضيعة النائمة بجانبها، تعودان معًا بعد عدة دقائق، تُلقي (ميرنا) التحية على (آدم)

شاكرة إياه على الطعام، وبدأوا جميعًا في تناول المشويات مُتبادلين أطراف الحديث، الهدوء يُخيم على الجو، وقد بدأ الارتياح يتخلل إلى صُدورهم، ظنًا منهم أن أيام اليَسر قادمة لتُعوضهم عن أيام البؤس، وهكذا هو الإنسان دائمًا بعد العناء ينتظر ابتسامة السماء، فيجد نفسه وحيدًا وسط الصحراء، فيقع ضحية لليأس حافراَ بيديه قبراَ يحتويه، فتُكتب له حياة بعد الحياة، وتُمطر السماء لتبَث الحياة من جديد في صحرائه، لتجعل منها جنة هو مالكُها، وهكذا هو القدر.

يقطع حديثهم الدافئ صوت رنين هاتف (آدم)، فيجيب المُتصل قائلًا:

ـ "السلامُ عليكُم".

يُجيبه الرجل على الطرف الآخر صارخًا بنبرة غليظة:

= "أغثني يا (آدم) بيه! النار مُشتعلة في القبر إلى السماء، والمياه لا تُجدي نفعًا، لا أعرف ماذا أفعل!"

هبّ (آدم) واقفًا مُستشعراَ خطورة الموقف، لكنه لا يُدرك أي شيء بعد، فيتحدث قائلًا:

ـ "ماذا ت قول، أنا لا أفهم شيئًا! من أنت؟"

= "أنا (سيد) الدفان غفير المقابر، النار مُشتعلة في قبر والدتك من جميع الجوانب، والمياه لا تُجدي...".

يُقاطعه (أدم) بشراسة قائلًا:

ـ سُحقًا! أنا في الطريق، اتصل بوحدة المطافي بسرعة، الآن".

قالها (آدم) مُسرعًا لمُغادرة الشقة، تستوقفه (ريم) قائلة:

ـ "سآتي معك".

ينظر إليها قائلًا بحزم:

ـ "امكثِي ه نا، ولا تفتحي الباب لأي أحد كان".

قالها وغادر مُسرعًا، فتأخذ (ميرنا) صديقتها من كتفيها برفق مُحاولة تهدئتها، وهما لا تعرفان إلى أين ذهب (آدم)، وماذا حدث!؟

يقتاد (آدم) سيارته بسُرعة، في حين (يامن) يجلس في سيارته بجانب الغفير أمام المنزل، ينظر الأخير إلى (يامن) قائلًا:

ـ "هيا أكمل اتفاقنا".

يُعطيه (يامن) عدة أوراق مالية قائلًا:

ـ "لا تُخبر أحدًا بذلك".

يُغادر الغفير بعدما وعده أنه لن يُخبر أحدًا بشيء، يترجل (يامن) صاعدًا الدَّرج، يطرَق على الباب أربعة طرقات، تنظران الفتاتان إلى بعضهما في قلق، وتقوم (ميرنا) مُسرعة لتفتح الباب، فيدخل (يامن) مُعطيًا إياها عدة أوراق مالية أكثر مما أعطاها للغفير، وذلك نظير فتحها الباب، وهذا هو اتفاقهما!

كان (يامن) يُراقب المُستشفى طيلة الوقت والثلاثة شباب بجانب (ياسر)، فانتظر حتى الوقت المُناسب، حين كانت (ميرنا) تبتاع بعض المُشتريات من أحد المحلات التُجارية بجانب المُستشفى، اعترض هو طريقها، وعرض عليها فتح الباب مُقابل عشرة الآف جُنيه، فوبخته بشدة، لكنها وافقت في النهاية حين ضاعف العرض.

تُغادر (ميرنا) الشقة، تاركة (ريم) في صدماتها المُتزايدة، تُسرع نحو إحدى الغُرف صارخة كالمجنو نة، وصوت عويلها يُقطع في قلبه تقطعًا.

******

سَمِع اللواء صوت الانفجار، فألقى الجهاز اللاسلكي في الأرض، والشرر يتطاير من عينيه الجاحظة، يتقدم نحوه أحد المُهندسين قائلًا:

ـ "سيّدي اللواء، (عادل) اتصل بنا الآن ويطلب مُحادثتك!"

يذهب معه اللواء، يضع السماعة في أُذُنيه قائلًا بحدة:

ـ "انتهى أمرك أيها الخسيس، وفي غضون...".

يُقاطعه (عادل) قائلًا بصوتٍ مُتزن:

ـ "زِن الكلام قبل أن تقوله يا (مُراد)! أنا المُتحكم في الأمر حتى الآن أم إنك لا تُلاحظ ذلك؟!"

= "هذا ما تعتقده أيها المخبول، تفصلني عنك بعض الدقائق، وستكون أمامي للتحقيق".

ـ "هذا ما تعتقده أنت، وفي الحقيقة، أمامك طريقان لتسلك أحدهما، الطريق الأول وهو أن تخترقوا الغُرفة التي أنا بداخلها، وتعدموني، وفي هذه الحالة صدقني أنتم الخاسرون، فهنالك أكثر من خمسين مكانًا مُلغم بالقنابل المضبوطة لتنفجر في موعدها، فسأكون أنا في السجن أو ميت والتفجيرات مُستمرة في كُل مكان، الطريق الآخر وهو أن تتركني أغادر ا لبلاد، بل وتُشرف أنت بنفسك على تأميني، وتقوموا بتزييف موتي أمام الصحافة والإعلام، وفي هذه الحالة، ستصبح بطلًا أنت

وجميع أفراد طاقمك، وتعود البلاد لاستقرارها".

يستغرق اللواء لحظات في التفكير، ثُم يتحدث قائلًا:

ـ "التفجيرات مُتوقفة منذ أن كُشِفَ أمرك، أنت تقول ما لا تستطيع فعله!"

= "حسنًا، سيَفجّر المتحف القومي للآثار في الواحدة بعد مُنتصف الليل، هذا لتتأكد أنني أقول ما أستطيع فعله، سيتم تفجير أحد مُستشفيات الأطفال في السابعة صباحًا، ذلك لتتأكد أنني لا أعرض عليك الهراء هنا، القنابل وُضعَت في أماكنها منذ عدة شهور، أنا الآن أعرض عليك فُرصة مجانية، لتكون بطلًا أمام الرأي العام، ليعود الأمن والأمان وأنا سأنجي بروحي، الجميع فائز والقرار قرارك".

قالها (عادل)، وأنهى المُكالمة تاركًا اللواء في حيرة يُجري اتصالاته لمُحاولة إنقاذ المتحف.

******

تُغادر (ميرنا) الشقة تاركة (ريم) في صدمتها المُتزايدة، تُسرع نحو إحدى الغُرف صارخة كالمجنونة، وصوت عويلها يُقطع في قلبه تقطيعًا، تجلس على الأرض بجانب الفراش في وضع القرفصاء، مُطبقة أصابعها بداخل كفيها أمام صدرها مُرتجفة خائفة، تهمس داعية "يا رب، يا رب"، يدخل (يامن) الغُرفة بسهولة لأنها تناست إقفال الباب من أثر ارتباكها، يقف أمامها قائلًا بانكسار:

ـ " كُل هذا لأنني أريد التحدث معك؟"

تُجيبه بشفتيها المُرتعشة:

ـ "أرجوك غادر، أرجوك".

= "(ريم)، أنا لستُ هذا الرجَل الفظيع الذي في مُخيلتك، فقط اسمعيني وسأغادر".

تُجيبه مُتعلثُمة بخوفٍ عارم:

ـ "غادر، أرجوك".

يتنهد (يامن) في غضب مقطبًا حاجبيه، وعظام فكيه بارزة، يقترب منها مُمسكًا عضديها جاذبًا إياها للأعلى، لتقف ويُجلسُها على الفراش وهي تبكي مُستغيثة وهو يقول:

ـ "انظري إليّ، أنا لا أقوى على إيذائك أو المساس بكِ، أرجوكِ اسمعيني".

يأخذ كفها الأيمن عَنوة ويقبَله مُستكملًا حديثه:

ـ "لقد خاطرت بكُل شيء فقط لتسمعيني، أتوسل إليكِ، أعطيني بعض الدقائق فقط".

تبتلع (ريم) لُعابها وتومئ برأسها موافقة، فيبتعد هو خطوتين للخلف، لكي تطمئن أكثر، ويتحدث قائلًا:

ـ "لماذا تلاعبتِ بي، لماذا استغللتِ حُبي لك بهذه الطريقة؟"

بدأت تطمئن رويدًا رويدًا بعدما نجح هو في إقناعها أنه لا يستطيع إيذاء ها، تُجيبه باستحياء ناظرة في الأرض:

ـ "لم أتخيل أن كُل هذا سيحدث، ظننتُ أن الأمر سيمضي، لم أعتقد أن رد فعلك سيكون بتلك الرعونة، أنت أيضًا أخطأت!"

= "رد فعلي طبيعي لرجُل عاشق، بعدما تلاعبت به محبوبته، أردت أن أقتص منه، لأقول لك هذا الذي تلاعبت بي من أجله، لكني قبل أن أطلق النيران عليه، ابتعدت يدي رغماً عني؛ لأنني لستُ قاتلًا يا (ريم)".

ذهب الخوف تمامًا من قلبها، فتنظر إليه بشراسة ممزوجة باشمئزاز، قائلة:

ـ "وحين جئت أنت و(هاني) لقتل عائلة بأكملها، لم تكن قاتلًا أيضًا أليس كذلك؟ اذهب يا (يامن)، اذهب قبل أن يعود (آدم)".

يُجيبها بنبرة مُتهم يقف في القفص، يُدافع عن نفسه أمام القاضي قائلًا:

ـ "حين تعرفتُ إلى (هاني) في السجن، كان الجميع يهابه، لكنه كان يُحب التحدث معي، وأنا أسايره في أحاديثه المجنونة، حتى قام أحد أتباعه بتهريبنا، حينها قررت أن أعود لتسليم نفسي، لكن ليس قبل أن أتحدث معك، كان هو يمتلك المأوى والمال، فكنت مُضطراً إلى المكوث معه، كان يقتلَ ويذبح والله يشهد أنني حاولت تصليح ما يفعله، حتى جاء اليوم المشؤوم، وأخبرته أنني سأتحدث معك فقط، وهو أخبرني أنه سيتحدث مع خالك لتصليح العلاقة بينهما، وكان هذا خطأ حياتي حين صدقته، فوجئتُ مثل الجميع بطعنه لخالك وإطلاق الرّصاص في كُل مكان، كما فوجئتُ أيضًا بوجود (آدم)، ولمّا سَنحت لي الفُرصة فعلت ما كان يجب عليّ فعله".

يـ صمت قليلًا مُقتربًا خطوة منها ويستكمل قائلًا:

ـ "ذهبت إلى غفير المقابر، وأعطيته أموالًا ليتصل بـ (آدم)، ويخبره أن

قبر والدته نشب به حريقٌ ضخم، قابلت (ميرنا)، وأعطيتها كثيراَ من المال فقط لتفتح الباب، كُل هذا فقط لأتحدث معكِ وأسمع صوتكِ، لأخبرك أن (آدم) خائن!"

تتسع عينيها قائلة بتهكم:

ـ "أتقصد فعلت كُل هذا لتُخرِّب علينا حياتنا! حسنًا أنا أعلم بخيانته، هل هناك شيء آخر؟"

ينظر في الأرض مُحبطًا من حديثها قائلًا:

ـ "مُنذ هروبي وأنا أراقبكم دائمًا، وهو يذهب كُل يوم في الصباح إلى ذلك العنوان المُدون في الورقة، إنها شقة لتجارة المُتعة وبيع الهوى، يُمكنك التأكد بنفسك!"

تأخذ منه الورقة بملامح جامدة غير مُصدقة، يُمسك يديها بهدوء مُستدركًا حديثه قائلًا:

ـ "(ريم)، أنا أحبك فوق الحُب حُبًا، وفوق العُمر عُمرًا، أراكِ في أحلامي، أراكِ في سمائي، وأزقة عقلي، وشرايين قلبي، انظري إليّ في عيني وأخبريني..".

تسحب يديها من يديه مُقاطعة إياه، والدموع تقف في حنجرتها تُعيقها عن التحدث قائلة:

ـ "أرجوك، كُف عن هذا، أنا أحبه، أحبه وأعشقه وأهواه، اذهب وغادر، أرجوك".

قلبه مُسلم يُنشد مُبتهلًا في حُبها، وقلبَها وثني لا يُبالي، أصدرت فرمانها

بتحريم حُبه على قلبها، فيجزّ على أسنانه للصمود، فتأتي مياه عينيه المالحة مُعلنة انتهاءه ، طعنته في صميم قلبه، فنكصَ على عقبيه مُتكئًا على رُكبتيه، تكاد غُروب مقلتيه تعُم الأرض بالغرق، وكأنه لم يُخلق من تُرابٍ بل من الحَرق، سارت على قلبه بحروفها فسحقته، طفحت على بَصر قلبها غشاوةٍ ، فأقامت على شرف قلبه حريقة ، فخلّفت في الأكباد أعظم حسرةٍ ، والحُزن عاكفٌ في قلب مُجحَفُ، والقلب ينزفُ في جِسم خائفُ ، والخوف مُسرفٌ في روحٍ تهتفُ "كفاكِ ظُلمًا، كفاكِ عناءًا، رُحماكِ لستُ بصخرةٍ صماء"، آه على طفل مُغرمَ، آه على قلبَ مُحطم، آه على جرحٍ مُلطم، آه على فراق مُظلم، والسلام إلى كُل روحٍ تتألمُ، يبكي بُكاء طفل عاشقًا حَكمَ عليه قلبه بفناء عُمره سجين هيامُها، يتنفس من استبدادُها، يحيا على نبضها، قبيحٌ، قبيح بُكاؤه على قلبه، وأقبح منه بُكاؤه على بُكائه، حيران لا يدرى أيقتل نفسه أم يلعن زمانه القاسي وبؤسه، توالت على قلبه الطعنات فصار كُتلة من الآلام، كُتلة من الانكسارات، يتحدث قائلًا بما تبقى من روحه بصوتٍ مُنكسر مقهور:

ــ "ربي أولًا، ثُم أنتِ، لو يجوز السجود لغيره لسجدتُ لكِ، أنا أسيّر قلبكِ، فارحميني".

قالها بأنين قلبه، بنحيب روحه، رؤيتها له أمامها هكذا، تُشعرها بـ الاستبداد، فتضع يديها على وجهها؛ لتُخرج فيهما كُل الدموع.

يُفتح الباب، ويدخل (آدم) مُتلهفًا قائلًا:

ــ "(ريم)، حبيبتي، أين أنتِ؟"

تقف (ريم)، وتمسح خديها بسرعة، وقد ازدادت خفقات قلبها بشدة،

في حين (يامن) أمامها جاثيًا على رُكبتيه لم يُحرك ساكنًا، يدخل (آدم) الغرفة وتتسع عيناه في غضب.

******

في تمام الثانية صباحًا، يقف اللواء (مُراد) بصحبة بعض من الضباط والمسؤولين أمام المتحف القومي للآثار، بعد أن فُجِّر بالفعل، على رغم محاولات الخبراء بالكشف عن القنابل، وإبطال مفعولها، لكنهم فشلوا في العثور على كُل القنابل نظرًا لضيق الوقت، فكانت الحكومة مُطالَبة بنقل جميع التُحف والتماثيل الأثرية من أماكنها، وكذلك الكشف عن القنابل التي لا يعرفون عددها، وإبطالها، وكُل ذلك في غضون ساعة واحدة فقط، وقد نجحوا في إنقاذ عديد من المومياوات، وكثير من القطع الأثرية، كما نجحوا بإبطال مفعول قُنبلتين، لكن ذلك لم يمنع الثلاثة الآخرين من الانفجار؛ لتروح ضحية ذلك الانفجار عددًا ليس هينًا من التُحف والقطع الأثرية الثُمينة التي يرجع عُمرها إلى أكثر من أربعة آلاف عام.

يتحدث المُقدم (خالد) في الجهاز اللاسلكي إلى اللواء قائلًا:

ـ "سيِّدي اللواء، هل تسمعني؟"

= "نعم يا (خالد)، أسمعك بوضوح، ماذا وجدت؟"

ـ "اقتحمنا ال غُرفة الحديدية الآن، ولم نجده هنا".

= "بالتأكيد لن تجده فيها، ماذا يوجد عندك"؟

ـ "يوجد عديد من الأجهزة الصغيرة المجهولة بالنسبة إليّ موصولة بجهاز حاسوب، يوجد عديد من الأسلاك، المكان أشبه بمُختبر صغير!"

= "حسنًا، اجمع هذه الأجهزة لنعرضها على المُهندسيّن لدينا، ولا تنس الاجتماع في الخامسة صباحًا".

ينتهي من حديثه مع المُقدم (خ الد)، ليجد هاتفه يُصدر صوت الرنين، فيَجيب المُتصل قائلًا:

ـ "السلامُ عليكُم".

يُجيبه (عادل) قائلًا:

ـ "هل تأكدت الآن أنني أقول ما أستطيع فعله؟!"

= "اسمع يا (عادل)، عليك أن تتراجع عن تفجير المُستشفى صباحًا حتى نستطيع التحدث في عرضك".

يضحك (عادل) بسُخرية قائلًا:

ـ "للأسف يا عزيزي، لا يوجد مجال للتراجع حتى تُخبرني أنكم موافقون، وحتى يحدث ذلك فلن تتوقف التفجيرات وبعد خمس ساعات من الآن ستنفجر أحد مُستشفيات الأطفال كما أخبرتك مُسبقًا".

يتحدث اللواء برزانة وثبات قائلًا:

ـ "مَرّت على مصر أناس هم أكثر منك عُهرًا، وجميعهم لاقوا نفس المصير".

يتحدث (عادل) بتحدي وثقة قائلًا:

ـ "أرجو أن تلتزم عجرفتك هذه حين تُفجّر كنيستان في آن واحد غدًا في التاسعة مساءً، بمحافظة أسيوط!"

= "كنيستان؟!"

قالها اللواء بذهول، فيَجيبه (عادل) قائلًا:

ـ "سأعاود الاتصال بك بعد تدميرهما، إلى اللقاء".

قالها وأنهى المُكالمة، تاركًا اللواء يعصتر جبينه بأنامله مُطبقًا جفنيه في اختناقٍ مُمتزج بغضب.

******

تقف (ريم)، وتمسح خديها بسرعة وقد ازدادت خفقات قلبها بشدة، في حين (يامن) أمامها جاثيًا على رُكبتيه لم يُحرك ساكنًا، يدخل (آدم) الغرفة، وتتسع عيناه في غضب، لا يعرف ماذا يفعل، وقد توقف عقله عن التفكير، تتقدم إليه (ريم) قائلة:

ـ "(آدم) لا تتسرع، لقد أتى ليَخبرني ببعض الكلمات التي لا فائدة منها، وسيغادر الآن و...آه!"

يدفعها (آدم) مُقاطعًا إياها فتصطدم بالدولاب، وينقض على عدوه الجاثي على رُكبتيه، يلكُمه بقبضتيه بكُل قوة يمينًا ويسارًا، يستقبل (يامن) اللكمات في كُل مكان كالصقر الجريح حين يعفي عليه الزمان، فيترك نفسه للموت البطيء، تعود (ريم) مُحاولة السيطرة على محبوبها فيدفعها بيديه من جديد، ليستكمل ضرباته دون هوادة، الدماء تتطاير يمينًا ويسارًا من فم ضحيته، يُطلق (يامن) صرخة مُفاجئة، دوى صداها عنان السماء، إنها صرخة نابعة من مصلب الجرح النفسي ليس الجسدي، يضرب بقدمه (آدم) مُطيحًا به بعيد، يقف موشوشًا لا يرى شيئًا بعينيه المُتورمة، يتحسس الحائط في طريقه

للخروج من الشقة، ونقاط الدماء تتساقط من لحيته الخفيفة، يجلس (آدم) على الأرض يُتابعه وهو يُغادر، وكان على وشك اللحاق به مُجددًا، لكن (ريم) تشبثت به قائلة:

ـ "دعه يُغادر، دعه يذهب، أرجوك".

يصرخ فيها (آدم) قائلًا:

ـ "لماذا تُدافعين عنه هكذا؟ هذا الذي قتل أمي و(سلمي) وأصاب (ياسر) بالشلل!"

= "لا يا (آدم)، هو قتل من فعل كُل هذا، ولولا فعلته هذه لكُنا موتى الآن أنا وأنت!"

يهزُ رأسه بالنفي قائلًا باستهزاء:

ـ "كيف تلاعب بكِ لهذه الدرجة، كيف أقنعك أنه الملاك المظلوم؟"

= "لم يُقنعني بأي شيء يا (آدم)، كُل ما قاله إنه يُحبني ويعشقني وكلمات في ذلك السياق".

ـ "حسنًا وماذا قُلتِ له؟"

= "أخبرته أنني سأتزوج منك قريباَ، وعليه أن يتناساني تمامًا، فجثى على رُ كبته كما رأيته، وظل يُحاول مُجددًا حتى أتيتَ أنت".

يِ تنهد (آدم) واضعًا يده على رأسها؛ ليضمها إلى صدره قائلًا:

ـ "لن أتركِكِ لحظة واحدة بعد الآن لأي سببٍ كان".

= "قد حدث ما حدث وعلينا تجاوز الأمر، هيا بنا لنذهب إلى خالي حتى لا يقلق علينا، لقد تأخرنا عليه كثيراَ".

ـ "هيا حبيبتي، ولكن أين (ميرنا)؟"

تروي له (ريم) ما فعلته ابنة خالها، فيَصعق (آدم) غير مُصدق، ويتحدث قائلًا:

ـ "كيف فعلت ذلك؟ أهكذا ترَد الجميل! يا لَها من خائنة!"

= "أتعلم ما هو الأكثر صعوبة؟ إنها فعلت ذلك دون أن تكترث لأمري مطلقًا، لم تهتم إذا قتلني أو خطفني أو أي شيء".

ـ "الحمد لله أنك اكتشفتِ أمرها ولم يُصبك مكروه".

= "هيا بنا الآن، لقد تأخر الوقت، وتأخرنا على خالي، لكن لن نُخبره بأي شيء قد حدث حتى لا يفزع، يكفي عليه ما يمرّ به".

ـ "حسنًا حبيبتي، هيا بنا!"

قالها (آدم) آخذًا بيد حبيبته للذهاب إلى المُستشفى.

******

في صباح يومٍ جديد، في أثناء بزوغ النهار في تمام الخامسة صباحًا، يقف اللواء (مُراد) في قاعة الاجتماعات أمام مجموعة من ضُباطِ الأمن القومي المُختلفين في الرّتب العسكرية، يجلس اللواء على رأس الطاولة أمامهم خالعًا نظارته قائلًا بهدوء وإرهاق:

ـ "نحنُ مُجتمعين هـ نا في تلك الساعة المُتأخرة أو المُبكرة أيُهما أقرب، نظرًا لضيق الوقت وضرورة الأمر".

ينظر أمامه في الفراغ مُستكملًا حديثه بنفس الهدوء، والجميع ينصتون بآذان مصغية:

ـ "حين أخبرت معالي الوزير أنني أريد قيادة هذه القضية، كان لديّ إصرار وعزيمة للإمساك بذلك الإرهابي الذي عبثَ بوطننا، وراح ضحية عبثه المئات بل الآلاف من أبناء شعبنا، ومع كُل دقيقة تمُرّ، يزداد ذلك الإصرار لديّ، هل يوجد أحد هنا يُشاركني ذلك الإصرار؟"

يُجيبه أحد الرجال قائلًا:

ـ "نعم يا سيّدي، لدينا عزيمة للاقتصاص منه مهما كلف الأمر".

يقول آخر:

ـ "نحنُ معك بأرواحنا حضرة اللواء".

يقول آخر:

ـ "نحنُ وأرواحنا فداءَ لمصر يا سيّدي".

تكاثرت الكلمات الحماسية من الرجال، فيَقاطعهم اللواء قائلًا:

ـ "أحسنتم يا رجال، يُسعدني سماع ذلك للغاية، لكن دعوني أخبركم بشيء، حين كُنت مُلازمًا في الخامسة والعشرين من عُمري، كُنت تحت قيادة العقيد (ناصر السحرتي)، رحمة الله عليه، عرفنا من خلال تحرياتنا أنه توجد شُحنة ضخمة من المُخدرات قادمة إلى القاهرة عبر طريق الإسكندرية، وفوراً نصبنا الكمين الضخم حتى جاءت سيارة بها رجُل وحيد مُرتدٍ حزامًا ناسفًا حول خصره، وقام بتفجير نفسه وسط الكمين، وراح عديد من الضحايا في ذلك اليوم، والكمين الذي أقمناه في الحقيقة كان كميناً لنا، حينها عرفتُ أن الإرهابي هو شخص مختل لكنه مُنظم، مجنون لكنه دقيق، وإليكم (عادل) على سبيل المثال، استطاع في وقتٍ ما أن يجعل الفوضى هي سيد الموقف في الشارع المصري،

وحين انكشف أمره، أوقف التفجيرات؛ ليستخدمها لاحقًا في الوقت المُناسب؛ ليضغط علينا حتى ننصاع إلى أوامره، وما يُريد، قام بالتخطيط لكُل شيء حتى إنه عَرفَ أننا سنضغط على (شيرين) زوجته، وهي ستتصل به فقام بشراء أحدث أجهزة التشويش، وربطها بهاتفه المحمول حتى يُضللنا حين نحاول معرفة موقعه، ونذهب إلى موقع جهاز التشويش المُلغم بالقنابل، بدلًا من أن نذهب إلى موقعه الحقيقي، وفي ذلك اليوم استُشهد تسعة ضباط، وترمّلت تسع نساء، وتيتّم خمسة عشر طفلًا وطفلة، ولم ينجُ من ذلك إلا المُقدم (خالد)، يُمكنكم سؤاله عن شعوره حين رأى زُملاءه التسعة مُستشهدين أمامه في نفس اللحظة، والجدير بالذكر، أنه أصر على استكمال القضية على رغم أنني عرضتُ عليه إجازة، شُكرًا حضرة المُقدم (خالد)".

قالها اللواء شاكرًا المُقدم، فيومئ له الأخير برأسه بملامح جامدة مُتألمًا على فراق زُملائه، ويستكمل اللواء حديثه قائلًا:

ـ "لو كُنا في خضم حرب شرسة أمام أكثر الدول كُرهًا لنا لما تجرءوا على تفجير متحفنا القومي، وبعد ساعة من الآن تقريبًا ستنفجر أحد مُستشفيات الأطفال، وبينما نحن نتحدث الآن خُبراء المُفرقعات يُزاولون مهامهم بالكشف حول مُحيط جميع مُستشفيات الأطفال، كما أخلَى الكثير منها من المرضى حرصًا على سلامتهم وسلامة العاملين بها، وهذا هو ما يفعله الإرهاب يا سادة، نشر الذعر في كُل مكان، نحنُ أمام إرهابي ليس له وطن، وليس له دين ولا قواعد ولا حدود، وفي عقيدته كُلُّ حرام مُباح، ولتعلموا أن أكثر الإرهابيين إرهابًا هم هؤلاء الذين يرتدون بدلة أنيقة، ويجلسون بصحبة رجال الأعمال، ويتحدثون كالمُثقفين، تمامًا مثل الحالة التي أمامنا اليوم".

يتنهد اللواء واقفًا مُستدركًا حديثه قائلًا بفِطنة:

ـ "نجح الخُبراء لدينا في التأكد من أن نوعية القنابل المُستخدمة، تُضبَط قبل التفجير بأربعة وعشرين ساعة على الأكثر، ولا يجوز ضبطها قبل ذلك، في حين أنه أخبرني أنه توجد عديد من القنابل المدسوسة في أماكنها مُنذ مدة طويلة! هو يعلم جيدًا أننا لن نوافق على عرضه المطروح، لكنه يُحاول إقناعنا أنه لا يملُك طريقة أخرى للنجاة، وفي الحقيقة كُل هذا جُزء من خطته للهرب خارج البلاد! أخبرنا أنه ستُفجّر كنيستان في أسيوط مساء اليوم، لكن السؤال لماذا أسيوط بالتحديد دون غيرها؟ ألا يوجد كنائس في القاهرة أو الإسكندرية أو أي من مُحافظات الدلتا؟ اختار أسيوط بالتحديد وأخبرنا بذلك حتى يضمن تواجد جميع المسؤولين في تلك القضية هناك، في حين هو يفرّ هاربًا من القاهرة! في الحقيقة تفجير المتحف والمُستشفى بعد قليل لهدف واحد وهو ليثبت لنا مصداقيته، لنُسرع صوب مدينة أسيوط جميعًا لمحاولة السيطرة على الموقف، ونترك له الطريق مفروشًا بالورود؛ ليَغادر القاهرة دون عناء! سنقوم بتسريب بعض المعلومات أن جميع أفراد الشُرطة في مُحافظة أسيوط مُتأهبين لذلك الحادث الإرهابي الذي سيحدث، وهذا ما يُريد هو سماعه، وبالطبع سيضع في اعتباره أن هذه المعلومات ليست حقيقية وسيكون مُتخفيًا ببراعة".

يصمت اللواء ناظرًا إليهم جميعًا، ويستكمل قائلًا:

ـ "حضرة العميد (أسامة)، والعقيد (أشرف)، والمُقدم (هشام)، أنتم ستذهبون بالفعل إلى أسيوط ومعكم فريق عريض من خُبراء الكشف عن المُفرقعات، حضرة العميد (علي)، والعقيد (أحمد)، والعقيد (أيمن)،

والمُقدم (فؤاد)، والمُقدم (تامر)، أنتم ستطوقون القاهرة ومنافذها بالكامل وبلغوا عناصركم أن يرتدوا ثياباً ملكية في هذه المُهمة، لا أريد كمائن عسكرية، بل أريدها كمائن خفية، حضرة العقيد (حِسام)، والمُقدم (حسن)، ستكون مُهمتكم في مطار القاهرة الدولي، فلا تُغادر أي طائرة إلا وأنتم على دراية بتاريخ جميع رُكّابها، المُقدم (خالد)، أنت ستكون معي هنا، وتتابع التحقيق مع (شيرين)، هل هنالك أي أسئلة يا رجال؟"

يشكرونه جميعًا و اقفين واضعين أيديهم فوق يد اللواء، مُترابطين مُعتصمين بقوة الإرادة والعزيمة، قائلين بصوتٍ عريض:

ــ "الله، الوطن، الشعب".

******

المـــواجهـــة

بعد أن تناول (ياسر) وجبة العشاء بصُحبة (آدم) و(ريم)، ذهب في ثبات عميق، وقد تأكد (آدم) أن هنالك شيئ ما بداخل (ياسر)، فتلك المُعاملة الجافة ليست من فراغ، و(ريم) لم تُلاحظ ذلك مطلقًا، تجلس على يمين خالها حاملة الفتاة الرضيعة بين يديها، وبمرور الوقت بدأت تشعر بالنعاس، وبدأت رأسها تتمايل رغمًا عنها، (آدم) يجلس على يسار الخال المريض، يهمس إلى خطيبته قائلًا:

ـ "(ريم)، تعالِي معي".

تضع قُبلة رقيقة على جبين (رُفيدة) واضعة إياها برفق جانب خالها، وتذهب مع (آدم) إلى الشُرفة الخاصة بالغُرفة، يلفح نسيم الصباح وجنتيها ليستبدل بنُعاسها الحيوية والنشاط، يتحدث (آدم) قائلًا:

ـ "حبيبتي، وجهكِ مُرهق للغاية، وملامحك مُجهدة".

= "لا تقلق حبيبي، أنا بخير".

قالتها بوخم شديد، فيتحدث محبوبها قائلًا:

ـ "أتعلمين يا حبيبتي، كُنتُ أظن طيلة عُمري أن تلك الرقة في صوتك، والبراءة في ملامحك، والحنين في عينيك لن يقدروا أبدًا على تحمل الصعاب، كُنتُ أظن أنكِ فتاة مُدللة بكثير من الرفاهية، ستنهار بسهولة أمام الحياة العصيبة، واكتشفت أنك أقوى فتاة على الإطلاق".

يأخذ يدها، ويقبلُها مُبتسمًا برقة، وهي تنظر إليه والحُب طاغٍ في عينيها قائلة:

ـ "انا أستمد هذه القوة من وجودك جانبي يا حبيبي".

تزداد ابتسامته قائلًا:

ـ "حبيبتي، أنا أفكر في أمر ما طيلة الليل، وأريد معرفة رأيك فيه".

= "حسنًا، ما هو؟"

ـ "اسمعينى جيدًا يا حبيبتي، أنتِ مُرهقة للغاية، وأنا أعلم ذلك، تحتاجين إلى الراحة والأمان، لكن لاَ يوجد مكان آمن، فذلك اللعين يُمكن أن يصل إليكِ مُجدداً، و(ميرنا) أيضًا لا أحد يعلم ما في خاطرها، رُبما تعود وتُهددكِ بسلاح بحثًا عن الأموال أو أي شيء، وأنتِ لديك الحق في الراحة والشعور بالأمان، وتحتاجين إلى النوم والاسترخاء في منزلك، لكن الخطر مُحدق بكِ من كُل مكان".

تبتلع (ريم) لُعابها مُتأملة النخلة العملاقة أمامها قائلة بحسرة:

ـ "معك حق في كُل كلمة، (ميرنا) التي وثقت بها، واتخذتها أختًا، خانتني وأهدتني أنا والصغيرة لرجل غريب هارب من العدالة، حتى والدتي لا أعلم عنها شيئًا، وجميع الأحباب سقطوا غدراً ولم يتبقَ لي إلا بعضٌ من خالي، أنا حقًا أشعر بالأسى على نفسي".

تقف الدموع في عُنقها مانعة إياها من استكمال حديثها، فيضُمها محبوبها إلى صدره قائلًا:

ـ "أنا معك يا حبيبتي حتى آخر يوم بحياتي، روحي لكِ وقلبي وعُمري وكل شيء، أنَتِ كُل شيء يا (ريم)".

يضع جبينه على جبينها مُمسكًا رأسها بيديه ناظرَا في عينيها قائلًا بهمس:

ـ "سنتزوج، سنذهب معًا إلى مُحامٍ لنعقد قِراننا، ولن أتركك أبدًا، سنذهب إلى المنزل معًا، ستكونين تحت أنظاريَ دائمًا، لن أتركِك لحظة واحدة فيما تبقى من عُمري".

تدفس رأسها في صدره، وكأنها طفلة صغيرة، تبحث عن الاحتواء في صدر والدها الحبيب، تتحدث بلسان قلبها قائلة:

ـ "كما تُريد يا حبيبي".

يضع يده على شعرها برفق قائلًا:

ـ "وسنُخبر (ياسر) بكُل شيء بعد أن يُشفَى قليلًا، حالما تتحسن صحته قليلًا، سنُخبره بكُل شيء، وكُل ما حدث ولماذا أقبلنا على هذه الخطوة".

تُصدق على كلماته موافقة مُتوغلة برأسها في صدره بحثًا عن مزيد من الاحتواء، فعناق المحبوب دائمًا يُداوي كسر القلب، ولا خلاف في ذلك.

******

اللواء (مُراد) جالسًا في مكتبه يُدخن سيجارة، ويرتشف قهوته السادة مُفكرًا في تلك القضية، يُفكر في كُل شيء وكُل الاحتمالات المُمكنة، يقطع حبل أفكاره ثلاث طرقات على الباب، فيأمر الطارق بالدخول، فيدخل المُقدم (خالد) مؤديًا التحية العسكرية، ثُم يقول:

ـ "سيّدي اللواء، لقد وضعنا (شيرين) الآن على جهاز كشف الكذب وبانتظار حضرتك".

= "اجلس يا (خالد)".

يُنفذ المُقدم أمر قائده، فيستكمل الأخير قائلًا:

ـ "أنا أعرف يا (خالد) كمّ احتقانك، وما تمُرّ به، وها انا أعرض عليك الآن مٌجددًا أخذ راحة من العمل و...".

يٌقاطعه المُقدم قائلًا:

ـ "اسمح لي يا حضرة اللواء أن أقاطعك، فأنا لن أرتاح حتى نقتصّ من ذلك الوغد، فأرجوك لا تحرمني من استكمال هذه القضية تحت قيادتك".

يأخذ اللواء أخر رشفة من القهوة قائلًا:

ـ "حسنًا يا (خالد)، هيا بنا".

يذهبان معًا إلى الغُرفة المعنية، يوجد بداخل الغُرفة حائط زُجاجي يسمح لهما برؤية من خلفه ولا يسمح لمن بالخلف رؤية من بالخارج، تجلس (فريدة) أمامهما خلف اللوح الزُجاجي، يٌشاهدونها وهي لا تراهما، تجلس مٌكبلة الأيدي، يوجد على رأسها جهاز يُحلل مصداقية أقوالها وإذا كانت الإجابة صحيحة، سيَنير المُصباح الذي أمام اللواء باللون الأخضر، أما إذا كانت كاذبة سيَضيء بالأحمر، يُمسك اللواء الميكرفون الصغير الذي أمامه سائلًا بنبرته المُخيفة:

ـ "ما اسمك؟"

تنظر بجفنيها في كُل مكان بحثًا عن السائل، فيَعيد عليها سؤاله بغضب، فترتبك هي قائلة بتوتر:

ـ "(فريدة)، (فريدة إسماعيل بدوي)".

يٌنير المُصباح باللون الأخضر فيسألها قائلًا:

ـ "أنتِ و(عادل) أخوة أم مُتزوجان؟"

= "أخوة ومتزوجان".

يُنير المُصباح باللون الأخضر فيسألها قائلًا:

ـ "كيف سرقتِ هوية امرأة أخرى، لماذا لا يوجد شيء يدُل أنكِ (فريدة) حقًّا؟"

= "هو من قام بكُل شيء، أنا لا أعلم".

يُضيء المُصباح باللون الأخضر، فيسألها قائلًا:

ـ "من هو حاكم مصر؟"

= "(عادل) هو حاكم العالم بأسره".

يُضيء المُصباح باللون الأخضر، فيندهش المُقدم (خالد)، في حين اللواء يُتابع سائلًا:

ـ "أين (عادل) الآن، أين يختبئ؟"

= "لا أعلم مكانه، لكنه ليس مُختبئًا، حاكم العالم يُعيد ترتيب حساباته ليقتص من أعدائه بقوة".

يُنير المُصباح باللون الأخضر، فيسألها مُجددًا:

ـ "هل قام (عادل) بتغيير هويته مثلك؟"

= "لا، حاكم العالم ليس لديه إلا وجه واحد فقط".

يُنير المُصباح باللون الأحمر، فينظر اللواء إلى المُقدم (خالد) قائلًا:

ـ "ساعة واحدة وتخبرني بهويته المُزيفة".

قالها وذهب لإخبار الضُباط المُتمركزين في مواقعهم بأن المُشتبة به مُتخف في شكلٍ ما، في حين المُقدم (خالد) يدخل إلى (فريدة)، ويجلس مُبتسماً لها باستفزاز قائلًا:

ـ "جميع إجاباتك خاطئة، لنبدأ من جديد، ما هو اسمك؟"

تنهار (فريدة) واضعة يديها المُكبلتين بالحديد على رأسها.

******

تجلس (ريم) بجانب زوجها في سيارته المُتواضعة، بعد أن عُقد قرانهما منذ لحظات بشهود اثنين من أصدقائه، يأخذ يدها برفق مُقبلًا إياها قائلًا:

ـ "مُبارك علينا يا حبيبتي".

تبتسم له قائلة:

ـ "أين سنذهب الآن؟"

= "إلى شقتنا".

ـ "لا أذهب إلى منزلي أولًا؛ لأحضر بعض الأغراض".

يذهبان معًا إلى منزلها لتُحضر أشياءها كالملابس وبعض المُزينات، ثُم توجها إلى شقتهما المُجهزة من مدة لاستقبالهما، كانت الفتاة تظُن أنها ستدخل عُش الزوجية من الباب الكبير مُرتدية فُستانها الأبيض وسط الأقارب والأصدقاء في حفلٍ صاخب مملوءاً بالسعادة، تستيقظ من أحلامها البسيطة على واقعها المرير لتدخل شقتُها مُرتدية ثياب مُتواضعة دون صديق أو قريب يتمنى لها السعادة في الحياة الجديدة،

ترسم البسمة على ملامحها خوفًا على شعور زوجها، تضع أشياءها في الدولاب، وتقوم بتدفئة الحليب قبل أن تضعه في القنينة الصغيرة الخاصة بالفتاة الرضيعة، تنام الأخيرة قبل أن تتناول غذاءها، فتجلس (ريم) بجانبها مُريحة رأسها للخلف مُتكئة على الوسادة بظهرها مُطبقة جفنيها، تستفيق من غفوتها على يد زوجها الباردة تتلمس رقبتها برفق، تبتسم له وهو يجلس بجانبها مُرتديًا سروالًا فقط، يضع يديه حول خصرها قائلًا:

ـ "دعيني أخلع عنكِ هذه الملابس، فالجو شديد الحرارة".

تُمسك ساعديه وتضعهما بجانبه قائلة:

ـ "(آدم)، لقد تزوجنا لنكون بأمان معًا جنبًا إلى جنب دائمًا، لقد مررنا بالكثير للغاية، وقلبي وعقلي ليسا مُهيئَينِ للزواج فعليًا، أنا آسفة، لكني حقًّا بحاجة إلى مزيد من الوقت".

لم يكترث لكلماتها واقترب منها بشفتيه فأدرارت وجهها لليمين، فيَدفس شفتيه في رقبتها مُمسكًا بخصرها حتى لا تبتعد، يُقبلها بقوة فتقع على الفراش وهو فوقها لاصقًا فيها، وقد أقسم على النَّيل من جسدها الذي لطالما عذّبه في حياة العزوبية، تهمس إليه مُتوسلة:

ـ "أرجوك يا (آدم)، أرجوك ليس الآن".

لا يسمع ولا يرى إلا جسدًا فتاكًا مملوءًا بالأنوثة الطاغية، يعتصر شفتيها بشفتيه مُتلمسًا بيديه كُل تفاصيل جسدها، تستيقظ الفتاة الرضيعة باكية غاضبة من اهتزاز الفراش، لم يهتم المُفترس لأمر الصغيرة ولا الكبيرة مُنغمسًا في اغتصاب زوجته!

تبكي (ريم) وقد مات الشعو ر بداخلها كما اختلطت المشاعر بين حُزن وألم، بين آه وفزع، بين خوفٍ وصرع، بين جشعٍ وهلع، وهو لا يكترث لآهاتها كمُحارب حامل سيفه المُتعطش للدماء، يطعنها مُستلذًا بدماء قتيلته على سيفه فيزداد ابتهاجًا كما تزداد المقتولة حسرة، راقه القتل فيطعنها مرارًا وتكرارًا في مصلب الجرح دون رحمة، دون حُب، دون عزاء، يرميها بسُم السيف مُعلنًا انتهاء الحرب غير المُتكافئة، وقد لان السيف الحديدي سريعًا وأصبح بلاستيكيًا.

******

يرقُد الخال الجريح على فراشه مُحطمًا، يشعُر بالاختناق وكأن هنالك شوكة عالقة في عُنقه تمنعه من التنفس، وتُزيد من احتقانه، يُفكر شاردًا في كهف عقله "ماذا سأفعل مع (آدم) الآن، ماذا سأفعل مع (رُفيدة)، يا إلهي أعني أنا المغلوب على أمري، سجين عقلي، أسير قدري، هل هذه هي نهايتي حقًا، الموت قهرًا!"

يأتي صوت الطفل الصغير بداخله "اصمد يا صديقي، أرجوك لا تسقط الآن، أنت بطلي، أحبك".

ينفتح باب الغُرفة، فينقطع تركيزه ويرى خيالًا غريبًا ليس مُعتادًا رؤيته، يتقدم (يامن) واقفًا أمامه مُباشرة، يتبادلان النظرات في صمت تام، وبعد لحظات يتحدث (يامن) قائلًا على استحياء:

ـ "لم أتوقع ذلك الهدوء حين تراني".

لم يُجبه (ياسر) فيزداد الضيف خجلًا، ويتحدث قائلًا:

ـ "لقد قررت تسليم نفسي للشُرطة، وكان عليّ زيارتك قبل أن أفعل

ذلك، أتيت مُعتذرًا طالبًا المغفرة والسماح، لا أعرف على ماذا أتأسف، على زوجتك، أم على إصابتك، لكني أقسم لك إني لم أتخيل حدوث كُل ذلك، جُلَّ ما كُنت أريده هو التحدث إلى (ريم)، لكن ذلك لا يَمحي خطأي، أرجوك أن تُسامحني، أرجوك أن تُخلصني من شعوري بالذنب حتى ولو بالكذب، فقط أخبرني أنك تُسامحني".

يعود الصمت من جديد، فيترجل (يامن) خارجًا بخطوات مُحبطة، فيتحدث (ياسر) قائلًا:

ـ "ألتمس الصدقَ في كلماتك وعينيك، على كُلٍّ، فهكذا شاءت الأقدار يا بُني".

يبتسم له (يامن)، ويُغادر مُتأسفًا على حال المريض العاجز.

******

يقف اللواء (مُراد) أمام عديد من الشاشات التي تبَث له الأحداث حية من جميع الأماكن المُختلفة في البلاد، يتحدث مع الضباط ليعرف أخر التطورات، والغريب أنه لا يوجد شيء حتى الآن، وقد تجاوزت الساعة التاسعة، يتحدث مُجددًا إلى العميد (أسامة) في أسيوط قائلًا:

ـ "حضرة العميد (أسامة)، كيف هي الأوضاع لديك؟"

= "نعم حضرة اللواء، الأمور مُستقرة تمامًا، لم نجد أي قُنبلة أو أي مُفرقعات في أي كنيسة، ولا يوجد ما يستدعي القلق".

يشكُره اللواء، ويتحدث إلى العميد (علي) في وسط القاهرة:

ـ "حضرة العميد (علي)، كيف هي الأوضاع لديك؟"

= "لا يوجد شيء يُذكر يا حضرة اللواء، العناصر مُنتشرة كما يجب، والقاهرة مؤمنة بشكل كامل، وحتى الآن لم نرصد أي تحرك مُريب أو مُشتبه به".

يعتصر اللواء جبينه بأنامله قائلًا في غضب:

ـ "سُحقًا، هو الآن يفعل شيئًا ما!"

يتحدث إلى المُقدم (خالد) قائلًا:

ـ "حضرة المُقدم (خالد)، ماذا عرفت جديد من المُتهمة لديك؟"

= "ليس بعد يا سيّدي اللواء".

ـ "ثلاث ساعات من التحقيق ولم تستنتج شيئًا! كيف ذلك يا حضرة المُقدم؟"

= "أمهلني خمس دقائق فقط يا حضر...".

يُقاطعه اللواء قائلًا في سخط:

ـ "دقيقة واحدة وبعدها اعتبر نفسك مُستبعدًا من تلك القضية".

ينظر المُقدم (خالد) إلى (فريدة) الجالسة أمامه، وقد استمعت إلى تلك المُحادثة التي تمت عبر الجهاز اللاسلكي، تنظر إليه كالظبي الصغير أمام الأسد الجائع، يرمُقها بلحظ عينيه والشرر يتطاير منهما، يقلب الطاولة الحديدية التي بينهما، وينقض عليها ليطرحها أرضًا ساحبًا سلاحه الناري من جانبه، يُعمر السلاح لتبقى الرَصاصات في وضع الاستعداد، يضع فوهة المُسدس في مُنتصف جبينها قائلًا:

ـ "ا نا الآن على استعداد للمُحا كمة عسكريًا بتُهمة قتل داعرة في أثناء

التحقيق، (يستكمل بنبرة غاضبة)، أخبريني، ما اسمه المُزيف؟"

= "لا أعلم، أقسم ...".

يُقاطعها مُطلقًا رصاصة جانب أذنها صارخًا فيها:

ــ "أخبريني بأي شيء!!"

= "لا أعلم، لا...".

يُقاطعها مُجددًا مُطلقًا ستة رُصاصات بجانب رأسها في مُختلف الاتجاهات، رُصاصتان جانب أذنها اليَمنى، وأخرتان ناحية اليَسرى، وأخرتان فوق رأسها، يتحدث قائلًا بصرامة واحتقان:

ــ "لم يتبقَ لديّ إلا رُصاصة واحدة، أقسم بالله، أقسم بشرفي، وأقسم بحياة ابنتي إن لم تُخبريني ستكون في رأسك".

قالها واضعًا فوهة المُسدس بين عينيها، فتُطبق هي جفنيها لتسقُط منها دمعة حزينة قائلة بصوت خافت:

ــ "(مُصطفى)، يحمل جواز سفر بذلك الاسم، وهذا كُل ما أعرفه!".

يُسرع المُقدم قائلًا لقائده عبر الجهاز اللاسلكي:

ــ "سيّدي اللواء، إنه يحمل جواز سفر باسم (مُصطفى)".

يُحدق اللواء في الفراغ مُفكرًا، يتحدث إلى العقيد (حُسام) بمطار القاهرة الدولي قائلًا:

ــ "حضرة العقيد (حُسام)".

= "مُرني يا حضرة اللواء".

ـ "قُم بإلغاء جميع رحلات الطيران الآن، وحاصر المطار بشكل كامل ومُكثف".

= "عُلم وسيَنفذ يا حضرة اللواء، لكن توجد طائرة الآن على وشك الإقلاع مُتجهة إلى أمريكا".

ـ "قُم بإقافها وتحرَ عن أي أحد من رُكابها باسم (مُصطفى)، (عادل) يمتلك جواز سفر بذلك الاسم، تحرَ عن أي أحد بذلك الاسم في المطار، وبالتأكيد سيكون مُتنكرًا في شكل مُختلف".

= "عُلم وسيَنفذ يا حضرة اللواء".

ينظر اللواء خلفه قائلًا للمُقدم (سامح):

ـ "أرسل إشارات لجميع المطارات بإيقاف حركة الطيران بدءًا من هذه اللحظة".

******

وسط هدوء الليل حيثُ السكون التام والصمت، يرقُد (ياسر) على فراشه يتأمل الظلام من حوله وقد اتخذ الحُزن من ملامحه وطنًا له، والإنسان لوطنه شديد الانتماء، لا بل هو مكسور وليس حزينًا، وشتان الفارق بينهما، فالمرءَ الحزين سيجد دواءه في أحدهم أو رُبما في البَكاء، ولعل دواءه يكمُن في حبيب يأخذه بسحره الخاص إلى عالم لا يوجد به حُزن، رُبما يكون الدواء في الطعام والأكل بشراهة أو النوم بكثرة أو السفر في نُزهة، اختلفت السُبل وذلك مُتوقف على طباع الحزين وشخصيته، أما المكسور فسلامًا عليه حتى يفنى السلام، يُعاني شرخًا في الروح، تلفًا في القلب، كثرة في التفكير، لا يبكي ولا يحكي، يتأمل كثيرًا ولا

يتحدث، ينعزل في ظُلمات عقله وتتغير ملامحه نسبيًا، ولا يُلاحظ ذلك إلا من كانوا يعشقون ملامحه، يبهت جبينه كما تبهت عيناه، يختفي القمر من ليله كما تختفي الشمس من صباحه، يتخذ من كهف عقله مسكنًا، ومن بقايا روحه ونسًا، ومن ذكرياته رفيقًا، ومن حُطام قلبه ظلًّا.

يجلس في ظُلماته بين ثنايا القلب وثقوب الروح، قائلًا في نفسه "أهكذا حقًا نهايتي؟ زوجتي التي أحببتُها أكثر من أي شيء باعت عِرضي لرجُل آخر، زوجتي التي كُنت أدعو الله في سجودي أن يجعلني سببًا في إسعادها باتت هي سببًا في انكساري، رقصت على شرفي، على قلبي، على قبري، على فُتات روحي عارية بأحضان خطيب صديقتها، بأحضان خطيب ابنتي التي ربيتها على يدي، لماذا يا (سلمى)؟"

يعتصر عينيه لتسقُط دمعة ولا يوجد من يمسحها، يتحدث قلبه العاشق مُدافعًا عن حبيبته "هوسها بالأمومة كان طاغيًا، التمس لها العُذر يا صديقي، ولربما لم تكن قادرًا على إشباع رغباتُها طيلة هذه السنوات وهي لم تنبس ببنت شفة"، فيأتي رد العقل حازمًا "وهل الطلاق أصبح مُحرمًا؟ ألم نعرض عليها الانفصال لتُحقق رغبتُها بالأمومة ورفضت! إنها امرأة خائنة، والرحمة لا تجوز على الخائنين"، ضاع (ياسر) بين عقله وقلبه لا يعرف ماذا سيفعل بتلك الفتاة الصغيرة المُنتسبة إليه وهي ليست منه ، يأخذه التفكير في جهة أخرى مُحدثًا نفسه "ماذا سأفعل مع ذلك الخائن وأنا رجُل عاجز لا أقوى على تحريك يدي ولا حتى على التحدث بصوت عالٍ، وماذا عساها (ريم) أن تفعل وهي المسكينة وحيدة، إذا واجهته بالحقيقة سيتلذذ بأذية (ريم) شر الأذية كما استمتع بخيانتي من قبل، فبعد كُل ما فعلته معه

جاء رد الجميل قاسيًا، أخذتُ منه عهدًا يوم خُطبته على ابنتي الغالية ألا يُحزنها ولا يخذلها وقد أقسم ألا يفعل، وها هو قد خان القسم بأقذر السُبل المُمكنة، ماذا سأفعل مع (رُفيدة)؟ أفْعلُ مثلما فعل والدي! يا لسُخرية الـ قدر، ها هو الزمان يُعيد نفسه من جديد".

******

قام العقيد (حُسام) في مطار القاهرة بإيقاف حركة الطيران، وذلك بالتنسيق مع مُدير أمن المطار، وأرسل سبعة ضُباط وبعض المُساعدين معهم لتأمين ومُحاوطة الطائرة التي كانت على وشك الإقلاع إلى أمريكا، واتجه هو بصحبة خمسة من المُهندسين الفنيين للتحري عن جميع الركّاب في هذه الطائرة، ليكتشف أن على متنها اثنين باسم (مُصطفى)، أحدهم دكتور جامعي بجامعة بنسلفانيا، والآخر رجل أعمال يمتلك شركة للاستيراد والتصدير في شيكاغو، وبالتدقيق في ملامحهما وهيأتهما، لم يجدوا أي تشابه بينهما وبين المُشتبه به، يُمعن العقيد النظر أكثر بحثًا عن أي علامة مُشتركة، ويتحدث قائلًا:

ـ "تبًا لذلك، لا يوجد أي تشابه إطلاقًا، يبدو أنه مُتخفٍّ بعبقرية!"

قالها وذهب باتجاه الطائرة ببصيص من الأمل، يصعد درج الطائرة، فيجد الضُباط يصعدون خلفه، فيستدير إليهم قائلًا:

ـ "لا، ابقوا هنا، سأصعد بمفردي حتى لا نُثير ذعر الركَاب، سأقوم بإنزالهم جميعًا وأنتم عليكم تأمينهم".

يُجيبه أحد الضُباط قائلًا:

ـ "كيف هذا يا سيّدي؟ يجب أن نصعد جميعًا تحسبًا لأي اشتباك

مُحتمل".

يُشير إليه العقيد (حُسام) بسبابته قائلًا بحزم:

ـ "هذ ا أمر عسكري أيها النقيب (بلال)، ومن سيَخالف ذلك سيَعرض نفسه للمُحاكمة، انتهى النقاش".

قالها، وصعد إلى قائد الطائرة مُباشرة مُخبراَ إياه أن يُخبر الرّكاب عبر مُكبر الصوت أنه ستُخلَى الطائرة الآن لإجراءات أمنية، وبعدها أمر قائد الطائرة أن يُغاد الطائرة هو الآخر!

امتعض جميع الرّكاب لسماع ذلك ولو كانوا يعلمون حقيقة الأمر، لتسارعوا بالخروج من الطائرة.

يقف العقيد (حُسام) في مُنتصف الطائرة، يُشرف على خروج الرَكاب واحدًا تلو الآخر، وأبقى على الاثنين المُشتبه بهما حتى النهاية، وكان في ذلك حكمة منه فلو أخذهما في البداية ليَخرجهما وكان أحدهم هو (عادل) سيرفض الامتثال لأوامره، ويُهدد سلامة جميع الرّكاب، اكتشف (عادل) حكمة العقيد (حُسام) مُتأخراَ، ولم يبقَ على متن الطائرة سوى ثلاثة رُكاب بخلاف العقيد، يقف (عادل) صارخًا:

ـ "قفوا جميعًا في أماكنكم!"

قالها مُكشفًا لهم عن حزامه الناسف الملفوف حول خصره، ينظر إليه العقيد مُتأملًا بتعجب، فقد كانت له بشرة بيضاء، وشعر رأسه أبيض، أما هذا الذي يقف أمامه بشرته داكنة، أصلع الرأس وله ندبة في جبينه، يرتدي نظارة طبية وهو أبدًا لم يرتدها من قبل، فقد تنكر بإتقان شديد، مما جعل العقيد (حُسـ ام) يقف مُتعجباَ للحظات قبل أن

يُدرك الموقف بعناية ليتحدث قائلًا:

ـ "انتهى أمرك يا (عادل)".

يضحك (عادل) بسُخرية شديدة قائلًا:

ـ "ولماذا لم تشهر سلاحك؟ سأخبرك لماذا؛ لأنك في موقف ضعيف، لأنني استطعت أن أصل إلى ه نا مُرتديًا هذا الحزام حول خصري، لأنك أنت الآن تذكرة سفري الحقيقية للخارج!"

في تلك اللحظات يقف النقيب (بلال) خارج الطائرة مُتوترًا للغاية قائلًا لزُملائه:

ـ "سُحقًا لنا! قائدنا بالداخل، لا نعلم عنه شيئًا ونحن نقف هنا، عارٌ علينا".

قالها واستدار ليصعد الدرج بحذر شديد مُمسكًا سلاحه الناري.

يتحدث (عادل) مُستكملًا حديثه بثقة مُفرطة:

ـ "والآن أمامك اختياران، الأول أن تقلع الطائرة الآن في الحال، وأنتم جميعًا معي، والث اني أن ترفض ذلك ونموت جميعًا هنا".

= "حسنًا سأتحدث إلى اللواء ل...".

يُقاطعه (عادل) قائلًا:

ـ "لن تتحدث مع أحد، القرار لك الآن يا حضرة العقيد".

= "لو كان الخيار لي، فبدون تفكير سأختار موتك حتى لو كانت روحي ستذهب في ذلك، فلا شيء أحب إلى قلبي من الاستشهاد، على كُلٍّ سأتحدث إلى اللواء".

قالها بصرامة وكراهية شديدة بارزة في عينيه، يتحدث عبر الجهاز اللاسلكي قائلًا:

ـ "سيادة اللواء، هل تسمعني؟"

= "نعم حضرة العقيد، أسمعك بوضوح".

ـ "أنا الآن أقف أمام (عادل) في مُنتصف الطائرة، ومعنا ثلاثة رُكاب مدنيون، يرتدي حزامًا ناسفًا حول خصره، ويُريد أن تقلع الطائرة الآن، ونحنُ بحوزته وإلا سيَفجر الطائرة، ونموت جميعًا".

يقع اللواء جالسًا على المقعد بخلفه ناظرًا إلى السماء وقد ضاقت الحلقة واستُحكمت حلقاتُها، يأتي صوت العقيد (حُسام) مُستكملًا حديثه:

ـ "سيّدي اللواء، لقد تشرفتُ بالعمل تحت قيادتك، اعتنِ بأسرتي أرجوك!"

أدرك (عادل) أن العقيد لن يسمح له مُغادرة البلاد تحت أي ظرف، فيرفع يده اليَمنى للأعلى ليضغط بكُل قوة على زر التفجير بجانبه، فتخترق رأسه رصاصة مُفاجئة، يقع على إثرها ميّتًا!

بعد ما قال النقيب (بلال) كلماته إلى زُملائه، صعد الدرج زاحفًا على يديه وقدميه بخفة ورشاقة؛ ليختبئ خلف أول مقعد بعد الباب فلم يُلاحظ أحد وجوده، وحين سنحت له زاوية رؤية مُناسبة أطلق رصاصة اخترقت رأس الخسيس.

يتقدم النقيب (بلال) ليقف أمام قائده العقيد (حُسام) قائلًا:

ـ "أنا الآن مُستعد للمُحاكمة لمُخالفة أوامرك يا سيّدي".

تتلألأ الدموع في عيني العقيد مُحتضنًا تلميذه، إنها دموع رجُل كان على وشك لحظات من الموت، دموع النجاح بعد العناء، لكنها امتزجت بدموع الفخر بتلميذه، تُسيطر على جسده قشعريرة مُمتعة، يضغط على ظهر النقيب (بلال) في عناق حار، قائلًا:

ـ "أحسنت التصويب يا فتى، أحسنت التصويب".

يتحدث الآن في الجهاز اللاسلكي قائلًا:

ـ "سيّدى اللواء، لقد قُضِيَ على (عادل)، والجميع في أمان".

يتنفس اللواء الصُعداء، وقد فُرجت الحلقة بعدما ظن أنها لا تُفرج، ويتحدث قائلًا:

ـ "أحسنت التعامل يا سيادة العقيد (حُسام)، أحسنت التعامل".

******

الإيمــان والأمــان

عانت (ريم) من طريقة زوجها المُستبدة الشهوانية، فبمجرد عقد قرانهما أباح لنفسه استعبادها دون الاهتمام بسوء حالتها النفسية والمعنوية؛ ليُزيد بفعلته هذه جرحًا آخر في قلبها، ولكنها لم تُبدِ شيئًا مُكتفية بالنوم على حافة الفراش والبكاء سرًا.

في صباح اليوم التالي، أخذ (آدم) زوجته والطفلة الرضيعة، وقام بتوصيلهما إلى المُستشفى، واتجه هو إلى عمله بعدما أخبرها أنه لا يستطيع أخذ إجازة أخرى من العمل بعد إجازته السابقة بعد الحادثة التي وقعت في منزل (ياسر).

تدخل (ريم) غُرفة خالها، يبتسم الأخير ابتسامة خفيفة قدر استطاعته حين رمقها بجانب عينيه، تضع (ريم) الفتاة الصغيرة بجانبه على الفراش لتُفسح لنفسها مجالًا لعناق خالها المحبوب، فيتحدث قائلًا:

ـ "اشتقت إليكِ يا ابنتي".

= "وأنا و(رُفيدة) اشتقنا لك كثيرًا، إنها تبكي منذ البارحة وتُريد أن تَراك".

قالتها واضعة الصغيرة على فخذيه، فيَغمض عينيه بحُزن شديد، فظنت (ريم) أن حُزنه نابع من كونه غير قادر على حمل الفتاة بيديه، جاهلة بالحقيقة الراسخة في صدره، والمحبوسة بين ضلوعه، إنه كلما رأى الفتاة أو سمع صوت بُكائها أو اشتم رائحتها، ينكسر جُزء جديد من روحه، فباتت روحه مُنكسرة نصفين، كُل نصف مُنكسرًا إلى نصفين، وكُل نصف منهما مُنكسرًا إلى نصفين، فأصبح ما هو عليه الآن، جسدًا يحوي فُتات روحٍ مُمزقة.

تتحدث (ريم) قائلة:

ـ "خالي، هل أنت على ما يُرام؟"

= "نعم يا ابنتي، لطالما أنتِ معي فأنا بخير".

تبتسم له (ريم)، وتُقبَل يده قُبلة سريعة، فيستكمل هو قائلًا:

ـ "أين (آدم) و(ميرنا)؟"

= "(آدم) في العمل، و(ميرنا) تشعر ببعض الإرهاق، فأخبرتها أن تنام".

يُمعن خالها النظر في عينيها وهي تجول بنظراتها في الغُرفة باحثة عن مخبأ لكذبتها، فيتحدث قائلًا:

ـ "أَوَلَمْ أخبرك من قبل ألَّا تكذبي عليّ؟"

تتعلثُم (ريم) قائلة:

ـ "لا يا خالي، أنا لا أقدر على الكذب عليك، لكن...أنا...فقط...!"

= "لماذا كُل هذا التوتر، أخبريني يا عزيزتي، ماذا حدث؟"

تُجيبه بخشية وارتباك قائلة:

ـ "أخاف أن أخبرك فأزيد من ألمك".

= "أيّاً كان يا ابنتي، فلا يوجد أقسى مما قاسيناه سابقًا".

تتنفس (ريم) بهدوء، وتسرد عليه ما فعلته (ميرنا)، وتتطرق لما قاله (يامن)، ثُم عودة (آدم) وكُل ما حدث في ذلك اليوم، وبعد انتهائها يتحدث خالها قائلًا:

ـ "اسمعي يا حبيبتي، لا تذهبي إلى شقتي مُجددًا، فهي ليست آمنة،

يجب عليكِ البقاء هنا بجانبي، وأنا لم يتبقِ لي إلا يومان للخروج من ه نا، وبعد أن نُغادر سأبيع الشقة، ونشتري واحدة أخرى في مكان بعيد ؛ لننعم بحياة مُستقرة بعيدًا عن ذلك العبث".

= "خالي، أنا بالفعل لم أعد إلى منزلك بعد ما حدث!"

قالتها ناظرة إليه بكثير من الرهبة، يُقابلها كثير من التعجب من ولي أمرها، يتحدث سائلًا:

ـ "وإلى أين تذهبين حين تتركيني؟"

= "أنا لا أقدر على إخفاء الأمر أكثر من ذلك، بعد ما فعلته (ميرنا)، وبعد قدوم (يامن)، كان علينا أنا و(آدم) فعل شيء لنكون بأمان معًا، لنكون معًا طيلة الوقت، وهو لا يجوز أن يعيش معي بصفته خطيبي، فتزوجنا وانتقلنا ...".

يُقاطعها (ياسر) بنبرة بثت الرَعب فيها قائلًا:

ـ "ماذا؟! تزوجتما؟!"

تقف (ريم) قائلة بتلعثُم:

ـ "نعم، نعم، أنت تعرف ...".

يُقاطعها مُجددًا صارخًا فيها قائلًا:

ـ "أولَمْ أحذرك أيتها الساذجة الغبية! ألا تفهمين شيئًا، تبًّا لحماقتك!"

قالها مُحاولًا الانقضاض عليها، لكن جسده المشلول يمنعه من ذلك، فتتعارض رغبته مع قُدرته لينتج من ذلك ارتجافات عنيفة، يقع من أثرها على الأرض، يدخل طاقم التمريض على الفور، ليَهدئوه بحَقنة

مُنومة، ويُخرجوها خارج الغُرفة حرصًا على سلامته.

غادرت (ريم) الغُرفة حاملة الطفلة الرضيعة على يديها، مُشوشة التفكير تمامًا، لا تفهم ماذا حدث، تشعر أنها سيَغشى عليها من أثر الصدمة، إنها أول مرة في حياتها تشعر بالخوف من خالها، تَبّرك محلّها أمام باب غُرفته مُتساءلة "ماذا فعلت لكُل هذا؟ إنه يُحب (آدم) ودائمًا يُخبرني أنه شاب مُكافح ذات خُلق ودين، فماذا حدث؟!" فيأتي الرد من أعماق قلبها "ألا تتذكرين أولى كلمات خالك حين استفاق من غيبوبته، "احذرِي من (آدم) جيدًا"، فهذا الغضب العارم خلفه شيء كبير أنت لا تعلمينه!" تتذكر ليلة البارحة حين اتخذ زوجها من عقد القران ساترًا ليغتصبها، تقف مُسترجعة كلمات (يامن) قائلة في نفسها "نعم، لقد حذّرني هو الآخر من (آدم)، لكني بالطبع لن أصدق هاربًا من السجن يُخبرني أن محبوبي فاسق، لقد أعطاني ورقة مُدون بها عُنوان شقة مشبوهة، وادعى أن (آدم) يتردد إليها باستمرار! أين هذه الورقة؟ فقد ألقيتُها حين أخذتها منه، بالتأكيد هي في الغُرفة حيث ألقيتها!".

تقف (ريم) حاملة الطفلة الرضيعة مُتخذة طريقها نحو منزل خالها، تستقل سيارة أجرة لتقلها إلى هـ ناك بسُرعة، تصعد الدرج، وتفتح الباب فينقبض قلبُها من شيء لا تعلمه، تدخل بخطوات بطيئة ناظرة في كُل مكان، تتراءى (يامن) جاثيًا على رُكبتيه وهي قُبالته جالسة على الفراش، تهز رأسها شاهقة لتعود إلى الواقع، تضع الصغيرة على الفراش لتبدأ عملية البحث فتجد مُبتغاها تحت أقدامها، تُمسك الورقة مُمعنة النظر فيها بعين ثاقبة، يقطع تركيزها صوت رنين هاتفها، تنظر من المُتصل فتجده زوجها فتُعدل نبرة صوتها "إحم، إحم"، لتبدو بصوت طبيعي أمامه بعد أن امتلأ قلبَها بالشك، تُجيب قائلة:

ـ "مرحبًا حبيبي".

= "حبيبتي، لقد انتهيت الآن من العمل وفي طريقي إليك، هل ترغبين بشيء أجلبه وأنا قادم؟"

ـ "شُكرًا يا حبيبي، لكني لست في المُستشفى، أنا في طريقي إلى المنزل".

= "لماذا لم تنتظريني؟"

ـ "شعرت بالنُعاس الشديد بعد اطمئناني على خالي فاستأذنت منه وذهبت".

= "حسنًا حبيبتي لا مُشكلة، أنا أيضًا في طريقي إلى المنزل".

انتهت المُكالمة، فأخذت (ريم) حقيبتها بعدما وضعت الورقة بداخلها، وأسرعت بحمل (رُفيدة) للذهاب إلى شقتها قبل أن يعود زوجها.

تدخل شقتُها لتجد زوجها لم يُبدل ثيابه بعد، تُلقي عليه التحية مُتصنعة النُعاس، تُبدل ثيابها وتقوم بتدفئة الحليب قبل أن تضعه في القنينة الصغيرة لتتناول الفتاة الرضيعة غذاءها، تحتضن الفتاة برفق كأنها أمها، تنام الصغيرة على صدرها، فتضعها (ريم) على الفراش، وتنام بجانبها بعقلٍ شارد مُفكرة في نفسها "تُرى ماذا يوجد في ذلك العُنوان، هل هذا فخ لأذهب هناك وأجد (يامن)؟ لا، بالتأكيد لا، فهو كان معي بمفردي من قبل ولو كان يُريد أذيتي لأذاني حين سُنحت له الفُرصة"، يدخل زوجها ويستلقي بجانبها مُحتضنًا إياها وهي تتصنع النوم بعُمق، وبعد مرور ساعة وقد تأكدت من نومه، تقوم مُرتدية ثيابها وتأخذ الطفلة الرضيعة معها عازمة الذهاب إلى ذلك العُنوان.

******

بعد مقتل (عادل) على يد رجال الشُرطة، تسارعت القنوات والمحطات الفضائية لنقل الخبر وشرح الأمر مُفصلًا للعالم أجمع، وقد بَعث موته السكينة والهدوء في قلوب المواطنين، وخرجت الجماهير مُحتفلين على نغمات الأغاني الوطنية هاتفيّن باسم وطنهم الحبيب، مُفتخرين بحكومتهم التي أثبتت كفاءتها في مواجهة الإرهاب، فالإرهابيون ليسوا مُسلمين أو مسيحيين، هم بلا مُعتقدات، بلا هوية ولا مبادئ، اختلفت أشكالهم وألوانهم، لكن نهايتهم واحدة وفي موتهم ينتشر الأمان كما تنتشر الأفراح.

عُوَضَت أسر الضُباط المُستشهدين خير تعويض، كما عُوِّضَت أسر الضحايا المدنيين، وقد جاء ذلك النصر بحسرة على الكارهين المُتربصين بوطننا الغالي، مُحاولين تزييف الحقائق بأن الحُكومة المُستبدة الظالمة قتلت المُناضل المُخلص (عادل البدوي)، لكن ذلك أثار ضحك المصريين إذ إذ هم عاشوا الأحداث بأنفسهم لحظة بلحظة، وعانوا ما لم يُعانه شعب من قبل، فمن العبث أن يُحاول أحدٌ ما خداعهم، فَهم أذكَى الشعوب، وخير الجنود، وأطيب النفوس.

يقف اللواء (مُراد) ليَلقي كلمة في خطاب رسمي أمام الجميع، وخلفه يقف جميع الضُباط الذين شاركوا في هذه القضية، وخلفهم يقف أمناء الشُرطة والمُساعدون، وخلفهم الجنود المُجندون في صورة مُشرفة أمام العالم أجمع، يستهل اللواء حديثه قائلًا:

ـ "بسم الله الرحمن الرحيم، فلنقف جميعًا دقيقة، حدادًا على أرواح شُهدائنا".

وبعد مرور دقيقة يستكمل قائلًا:

ـ "شُكرَا لكم، شُكرَا لكم أيُها المصريون، فلولا دعمكم وثقتكم الغالية لما قدرنا على استعادة استقرار وطننا، شُكرَا لجميع رجال الشُرطة لتفانيهم وإخلاصهم في تأديةِ واجبهم، والشُكر كُل الشُكر لأبطالنا الذين ضحوا بأرواحهم فداءَ لوطنهم، لتنعم مصرَنا بالأمن والاستقرار، لن ننساكم أبدًا يـ ا أبطال، سنُخلد ذكراكم في تُراثنا العريق، فأنتم مصدر قوتنا وفخرنا، ولطالما كانت مصر صامدة أبية مُستعصية على الإرهاب والإرهابيين بفضل أبنائها من رجال القوات المُسلحة والشُرطة، وباختلاف العصور وعلى مر التاريخ وقفت مصر وطيدة راسخة على رغم أنف الكارهين وحقد الـ حاقدين، والآن قد أضفنا إلى تُراثنا بريقًا، وإلى حضارتنا شموخًا، وإلى المُعتبرين درسًا وعبرة لمن تُسول له نفسه تهديد أمن مصر القومي، وزعزعة استقرارنا، فلم ولن نتهاون أمام الإرهاب والمُخربين، وحتى فناء الأرض ومن عليها سنظل على نهجنا بتقديم الدروس وكتابة التا ريخ الذي بدأه أجدادُنا مُنذ قديم الأزل، لنبقى أبدًا ودائمًا في ريادة العالم نحو الأمن والأمان، دامت لنا مصرَ ملاذًا آمنًا، وحفظ الله مصر وشعبها وجيشُها وشُرطتها".

******

في أحد الأحياء الراقية بمنطقة المعادي، تقف (ريم) أمام البناية المُكونة من طابقين، تنظـ ر في الورقة لتتأكد من العنوان، تصعد الدرج وقد تملّك منها الخوف جاهلة ما هي مُقبلة عليه الآن، تتراجع قبل أن تقرع الباب، ثُم تعود مُجددًا أمام الباب مُحاولة تثبيت قدميها في الأرض لتظهر بمظهر الواثقة، تطرق الباب ثلاث طرقات، تفتح لها سيدة في مُنتصف عقدها الخامس، عريضة الوجه وبدينة الجسد، شعرها أسود به خُصلةَ صفراء، ترتدي عباءة سوداء، ملامحها غير واضحة لكثرة

المُزينات والألوان المُتداخلة في بعضها، تمضغ العلكة ببَطء شديد مُتأملة ضيفتها من الشعر للوجه للصدر للخصر للقدمين، تتحدث إليها قائلة بحزم:

ـ "هل أيقظتني من النوم لتنظُري في وجهي هكذا؟!"

تتوه (ريم) قائلة بتعلثُم:

ـ "ال...هذا، أليست هذه شقة لممارسة الدعارة؟"

تُغلق السيدة الباب بقوة في وجه ضيفتها، فتنزعج (ريم) قائلة في نفسها "ما هذا الغباء الذي تفوهت به!"، تحث نفسها على الهدوء، وتطرق الباب ثانية، فتفتح لها السيدة البدينة قائلة بغضب:

ـ "اسمعي أيتها المجنونة، إذا لم تغرَبي عن وجهي الآن، سأقطعك إربًا وألق...".

تُقاطعها (ريم) قائلة بصوتها الضعيف:

ـ "انتظري أرجوكِ، أنا معي كثير من المال، سأعطيك كُل ما تُريدين، فقط أجيبي عن سؤالي".

قالتها مُخرجة من حقيبتها عدة وريقات مالية، فتنظر إليها السيدة بتهكم مُتأملة فيها وفي الفتاة التي على يديها، وتتحدث قائلة:

ـ "لا، هذه ليست شقة مشبوهة، ولا أريد أموالك، اذهبِي الآن...".

تُقاطعها (ريم) مُجددًا واضعة صورة زوجها أمام وجه السيدة، قائلة لها:

ـ "هذا ليس سؤالي، بل هو هل تعرفين ذلك الرجُل؟"

في هذه اللحظة ذهبت شكوك السيدة البدينة في ضيفتها، وتأكدت أن هذه الفتاة تجمعها علاقة بذلك الرجُل، وهي هنا لتتأكد من خيانته، فتقف المرأة بمُحاذاة الباب لتُفسح الطريق إلى ضيفتها قائلة لها:

ـ "تعالِي، ادخلِي".

تدخل (ريم) بخطواتٍ بطيئة والقلق مُسيطر على ملامحها، تجد ثلاث فتيات شبه عاريات بجانب بعضهم يُدخنَّ السجائر والأرجيلة، تخلع السيدة البدينة عباءتها بحركة واحدة بيدها اليَمنى، وتجلس لتتنفس الدخان من خلال الأرجيلة، وتدعو (ريم) للجلوس قائلة:

ـ "اجلسِي هنا، واعطيني الأموال".

= "تفضلي ها هي ، والآن أجيبي عن سؤالي، هل تعرفين ذلك الرجُل؟"

ـ "أريني الصورة مُجددًا".

تضع ريم هاتفها أمام السيدة البدينة لتُمعن النظر في الهاتف، وتتحدث الأخيرة قائلة:

ـ "في الحقيقة لا أتذكر، لكن ألف جُنيه أخرى ستُساعدني على الاستذكار".

تمتعض (ريم) من هذه الطريقة المُستفزة، تُعطيها الأموال الأموال على مضض قائلة:

ـ "تفضلي، هل تذكرتِ الآن؟"

تأخذ السيدة الأموال مُجيبة إياها:

ـ "أريني الصورة مُجددًا".

تقف (ريم) قائلة:

ـ "حسنًا، لا أريد أن أعرف، هيا افتحي لي الباب لأغادر".

تتحدث السيدة البدينة والدخان يخرَج في كلماتها قائلة:

ـ "لقد أخذتُ منك ألفين جُنيه في حين أن الرجُل يدفع ذلك المبلغ تقريبًا في الساعة الوَاحدة، فهل تظُنين أنني سأجيب عن سؤالك لأخسر رجِل يدفع الآلا ف باستمرار مُقابل ألفين جِنيه؟"

تستنشق السيدة نفسًا عميقًا من الأرجيلة وتستكمل حديثها قائلة:

ـ "ولكن إذا أعطيتني خمسة آلاف الآن سأخبرك".

تتنفس (ريم) باشمئزاز قائلة:

ـ "لم يتبقِ معي إلا ألفان، وسأعطيكِ إياهم بعد أن تُخبريني".

تبتسم السيدة قائلة:

ـ "حسنًا، (آدم) هو أكبر زبون لدينا!"

جاءت مخاوف (ريم) في محلها، وانتاب جسدها قشعريرة كأنها أصيبت بالكهرباء، تسألها مُجددًا:

ـ "متى جاء آخر مرة؟"

تنظر السيدة في ساعة الحائطِ قائلة:

ـ "مُنذ اثتني عشر ساعة، في السابعة صباحًا تقريبًا، فهو دائمًا يأتي في الصباح".

= "هل تستقبلون الزبائن دائمًا في الصباح؟"

ـ "وهل تتوقعين أنني سأغلق الباب حين يأتي رجُل معه كثير من الأموال، وأقول له عُذراً الوقت غير ملائم، على كُل حال فالصباح لدينا هو مساء في مكان آخر في العالم".

يخرَج رجُل من إحدى الغُرف مُترنحًا مخموراً، يرتدي سروالًا قصيراَ مُتكئًا على فتاة عارية بجانبه، تقف (ريم) مُسرعة نحو الباب، فتذهب إليها السيدة، وتفتح الباب قائلة:

ـ "ما رأيك أن تعملي معي وتأخذي ألف جُنيه في اليوم الواحد، وسأعتني بكِ جيدًا من مأكل وملبس لكِ ولطفلتك".

تُغادر (ريم) الشقة دون أن تُجيبها، لم تكن السيدة قلقة من تبليغ (ريم) للشُرطة إذ إنها لديها مخبأ سري تُخرج منه الضيوف في حالة هجوم الشُرطة.

تجلس (ريم) في مُنتصف الطريق على أحد المقاعد العامة، تتذكر كُل كذبة قالها (آدم)، تبكي وقد أقسم البَكاء ألا يُفارق عينيها، تتذكر الأموال التي أخذها منها لمروره بمحنة في العمل، ولا يوجد عمل من الأساس، أباح لنفسه التلاعب بأجمل الفتيات، واستباح لنفسه مالها ليخونها به ، تضع رأسها على صدر الفتاة الرضيعة، فتُمسك الأخيرة رأسها كأنها تعلم ما يحدث حولها، تنفجر الجريحة في بُكائها أكثر، تبكي على أيامها بدموعها، على حُبها بروحها، على انكسارها بنحيبها، على الخداع بأنينها، على الكذب بعويلها، آهِ على نفسٍ مُمزقةٌ، وأسفي على روحِ مُتلفةٌ ، وسلامٌ على حياة بائسةٌ.

تستفيق من كبوتها بعد أن بللت صدر الصغيرة تمامًا بماء عينيها المالح، تمسح خديها بكفيها تاركة العنان لقدميها لتسير كيفما شاءت فوجدت

نفسها أمام المُستشفى بعد ساعتين من السير المُتواصل، تدخل الغُرفة الخاصة بخالها لتجده نائمًا مُحدقًا إلى السقف، تلقي نفسها على صدره وهو العاجز عن احتضانها، تُمسك يديه وتضعهما حول خصرها على ظهرها مُتوسلة إليه أن يحتويها قائلة بصوتٍ مبحوح ضعيف:

ـ "أنا مُحطمة يا خالي، لا أعرف ماذا أفعل أو أين أذهب، فوجدت نفسي أهرب لأختبئ في صدرك تحت ضلوعك".

يُجاهد مُحاولًا أن يضغط على ظهرها، لكن المرض اللعين يمنعه من ذلك؛ لتنزلق يديه وتعود إلى موضعها بجانبه، فيعوضها عن العناق بقُبلة على جبينها الموضوع على شفتيه، ويتحدث قائلًا:

ـ "ابنتي، فتاتي وزهرة عُمري التي ترعرعت تحت ظلي، تحت جناحي، ليست ضعيفة لتُحطَّم".

تجلس بجانبه وفي عينيها لمعة من الدموع، تربت على يده اليَمنى بيديها وهو يتحدث قائلًا:

ـ أتعلمين، سأخبرك ما اكتشفته وأنا أتأمل السقف، اكتشفت أنني أنا الغبي ولستُ أنتِ كما نعتُّك في الصباح، عشت طيلة عُمري أدعو الله أن يرزقني بالأطفال، وبداخلي ألعن القدر والأيام لحرماني من تلك النعمة، كُنت جاهلًا طيلة الوقت أن القدر أهداني أجمل فتاة على الإطلاق، نعم أنتِ لا تحملين جيناتي الوراثية، لكنكِ تحملين قلبي وروحي، وهذا أعظم".

أدخل على قلبها السكينة والهدوء عبر كلماته الرقيقة، هو لم يقل شيئًا جديدًا، لكن الكلمات الطيبة دائمًا تؤتي ثمارها، بالتحديد إذا كانت هذه

الكلمات من محبوب داعمٍ لك، نعم هو ليس والدها بالمعنى الحرفي المُتعارف عليه، لكن المشاعر بينهما وتربيته لها جعلت منه أبًا لها وهي فتاة بارة بوالدها، فمن المُمكن أن يكون الصديق شقيقًا أو العكس، ومن المُمكن أن تكون شقيقتك الكُبرى أمًّا لك بكُل مشاعر الأمومة الدافئة، و ابنتك تكون صديقتك، فالعلاقات الإنسانية ليست مُسميات أبدًا، بل هي مشاعر خالصة لوجه الله تعالى.

هدأت(ريم)، وسيطرت عليها الطمأنينة، فبدأت تسرد كُل ما حدث معها مؤخراَ وما اكتشفته عن محبوبها الخائن، وهو يستمع مُشفقًا عليها مُتألمًا لألمها، يتحدث قائلًا:

ـ "ما تقولينه لا يُفاجئني يا ابنتي، فقد اكتشفت كمّ قذارته بنفسي مؤخراَ".

= "هل كُنت تعرف كُل هذا؟"

يتنهد مجيباَ إياها:

ـ "يوم الحادث حين أصبتُ وقبل أن أفقد الوعي، في هذه اللحظة اكتشفت دناءته الحقيقية، استفقت من الغيبوبة عاجزاً لا أقوى على الحركة، أفكر طيلة الوقت في كيفية إبعاده عنا، ولا يجوز طلب ذلك منه باحترام، فذلك النوع الخسيس من البشر سيفعلون أي شيء للوصول إلى مُبتغاهم، فلو تحدثت معه وواجهته ستكون حياتك أنتِ في خطر، وأنا لم يعُد لي في الدُنيا سواك، فماذا أفعل في ذلك الموقف؟ أواجهه وأنتظر رد فعله العنيف تجاهكَ أم أصمت حتى خروجي من هنا لأرى ما يُمكنني فعله!"

= "وماذا سنفعل الآن؟"

ـ "سنقوم بتحرير محضر بعدم التعرض لنا لنضمن سلامتنا منه، ومن ثُم نقوم برفع قضية خُلع، وبعد انتهاء ذلك الأمر، سننتقل للعيش في مكان آخر لنصنع ذكريات سعيدة بدلًا من الماضي المؤلم".

= "ولكن يا خالي هل تظُن أنه سيقف مكتوف الأيدي دون المساس بنا؟"

يبتسم لها بعينيه قائلًا:

ـ "إن الله معنا يا ابنتي، اذهبِي ونادِي المُمرضة التي في الخارج".

= "لماذا؟ أتشعر بألم؟"

قالتها بلهفة شديدة، فيجيبها قائلًا:

ـ "لا يا حبيبتي اطمئنِي، ناديها فقط".

تذهب (ريم) وتعود بعد لحظات بجانب المُمرضة، تتحدث الأخيرة قائلة:

ـ "خير يا أستاذ (ياسر)، هل تشعر بألم؟"

= "لا مطلقًا، أنا فقط أريد منكم أن تحملوني لأجلس على ذلك المقعد، أريد أن أجلس أمام الشُباك".

تبتسم (ريم) وتحمله من جهة اليمين والمُمرضة من اليسار، يضعونه على المقعد المُتحرك، تقف (ريم) خلفه وتدفعه للأمام برفق ليبقى أمام الشُباك، يستنشق الهواء الطلق قائلًا:

ـ "عليكِ أن تعتادي دفعي أمامك هكذا دائمًا".

تبتسم له (ريم) قائلة:

ـ "هذا يُسعدني، لكن إن شاء الله ستقف وتمشي قريبًا".

= "لا يا عزيزتي، فالطبيب كان صريحًا معي وأخبرني أن ذلك الشلل سيبقى معي حتى وفاتي، لكني لستُ حزينًا، فالحمد كُله لله أنني أستطيع التحدث".

تضع (ريم) يد ها على كتفه، وهمّت بقول شيء لولا انفتاح الباب، فتستدير وتلف معها مقعد خالها ليجدا (آدم) أمامهما مُقدمًا نحوهما مُشيرًا إلى زوجته بسبابته:

ـ "كيف لكِ أن تُغادري المنزل دون أن تُخبريني؟"

= " اخفض من صوتك، ولا تُحدثني هكذا!"

يقترب منها أكثر قائلًا بغضب:

ـ "أتحدث كيفما أشاء، والآن أمامي إلى المنزل".

يتحدث (ياسر) قائلًا بصرامة:

ـ "ابنتي لن تُغادر من جانبي ما دُمت حيًا، ألقِ عليها اليمين أيها الحقير".

بات كُل شيء واضحًا الآن ولا يوجد شيء مُستتر، تدخل المُمرضة على أصواتهم العالية قائلة:

ـ "ماذا يحدث هنا، أرجوكم فليَغادر الجميع ليبقى المريض بمفرده".

لم يكترث أحد لكلماتها، ويتحدث (آدم) بسُخرية مُجيبًا (ياسر):

ـ "عن أي يمين تتحدث؟"

= "يمين الطلاق أيها النذل".

قالها (ياسر) والشرر يتطاير من عينيه، فيَجيبه (آدم) قائلًا:

ـ "ألا يكفي أنك قعيد وعقيم، بل أحمق أيضًا!"

تصفعه (ريم) على خده صارخة فيه:

ـ "اخرس أيها الحقير!"

تُسرع المُمرضة لاستدعاء رجال الأمن، في حين (آدم) يُمسك زوجته من شعرها قائلًا:

ـ "لتعلمين قبل أن تموتِ أنني تزوجتُكِ لأجل حسابكِ البنكي لأكون أنا وريثك الوحيد أيتها الساقطة، والسببَ الوحيد لعدم قتلك بعد زواجنا مُباشرة هو الاستمتاع بجسدكِ قليلًا أيتها العاهرة!"

قالها مُستديرًا مُمسكًا بشعرها يجُرها خلفه وهي تصرخ باكية مولولة، وقبل خروجه من الباب وجد (يامن) أمامه من العدم طاعنًا إياه بسكين عريض في مُنتصف صدره!، فتضعف قوته ويترك زوجته لافظًا الدماء من فمه، يُمعن النظر في قاتله غير مُصدقًا هذه النهاية المُفاجئة، أما (ريم) فتضع يديها على فمها ماكثة على الأرض تكاد مقلتيها تقفز من محجريهما من هول ما ترى، (ياسر) على مقعده مُحدقًا فيهما، شفتيه تهتز دون إرادة منه، يدخل رجال الأمن مُسرعين، يُكبلون القاتل ويتحفظون عليه حتى تأتي الشُرطة.

******

مر شهر كامل من التحقيق مع (يامن)، وفي خلال هذه الفترة غادر (ياسر) المُستشفى على مقعده المُتحرك، وانتقل بصُحبة (ريم) وابنته (رُفيدة) التي ليست من دمائه إلى أحد التجمعات السكنية الراقية ليبدأوا جميعًا حياة جديدة تاركين الماضي المؤلم خلف ظهورهم لينعموا بحياة هادئة مُستقرة، لم يشعر (ياسر) بجانب ابنتيه أنه عاجز عن فعل أي شيء، فكانوا يقضون أوقاتهم في سعادة ودفء أسري، فما أجمل الحياة التي يتشاركها كهل وشاب وطفل، ودائمًا يخرجون للتنزُه في الحدائق والمُنتزهات، وقد أشرقت السماء لتدُب فيهم روح البهجة والسلام، وقد صدق وعد رب العالمين جل في عُلاه "فإنَّ مَعَ العُسرِ يُسراَ، إنَّ مَعَ العُسرِ يُسراَ".

جاء يوم المُحاكمة المُنتظر، يقف (يامن) في القفص ثابتًا واثقًا راضيًا بنصيبه أيًّا كان، يبتسم تلقائيًا حين يرى محبوبته قادمة نحوه، تقف أمامه على الجانب الآخر من القفص قائلة:

ـ "كيف حالك؟"

= "لم أكن بخير حتى رأيتك".

ينتابها شيء من الخجل وافترّ ثغرها عن ابتسامة خفيفة قائلة:

ـ "اخبرني يا (يامن)، كيف عرفت أنني في خطر في المُستشفى، ومن أين جئت؟"

= "أوَلَم أخبرك من قبل أنني أنا ملاكك الحارس، أوَلَم أخبرك أنني أنا ملاذك الآمن؟!"

تتسع ابتسامتها وافترّت عن أسنانها ضاحكة، قائلة:

ـ "حسنًا يا ملاكِي الحارس، كيف عرفت حينها أنني في خطر؟"

= "أخبرتكِ من قبل أنني أتتبعك ليلًا ونهارًا، وفي ذلك اليوم رأيتكِ تذهبين إلى الشقة التي أخبرتك عنها ثُم رأيتكِ جالسة في مُنتصف الطريق تبكين، فأدركتُ أنك تأكدت من كُل شيء، وبعد ذلك ذهبتِ إلى المُستشفى ومكثت هـ ناك كثيراً، ورأيت (آدم) يخرج من سيارته غاضباَ للغاية، فشعرتُ أنكِ في خطر مُحدق، فصعدت الدرج وأنا لا أعلم ما ينتظرني، اقتربت من الغُرفة فوجدته يمسك شعرك وأنت تصرخين، فلم أقدر على رؤيتك في هذا الوضع، وفعلت ما أملاه عليَ قلبي".

يدخل القاضي قاعة المحكمة، فيقف الجميع احترامًا له، يفتتح الجلسة ويأمر بدخو ل الشاهد الأول، فتتقدم (ريم) وتُقسم على قول الحقيقة بناءً على أمر القاضي، ثُم يسألها قائلًا:

ـ "هل كُنتِ حاضرة في أثناء قتل المدعو (آدم شريف) على يد (يامن شريف)؟"

= "نعم، كُنت حاضرة".

ـ "وماذا حدث بالتفصيل؟"

= "في الحقيقة (يامن) أنقذني يومها أنا وخالي (ياسر) الجالس هناك أمامكم، يومها أخبرني (آدم) أنه لم يتزوجني إلا ليقتلني ويرثني، وهذا بالفعل ما كان على وشك فعله لولا دخول (يامن) وإنقاذي".

ـ "إذًا ولماذا لم يقتلك؟ لماذا يُخبرك أنه تزوجك ليرثكِ بعد قتلك فكان من الأولى أن يقتلك دون أن يُهددك!"

= "كيف يقتُلن ي في المُستشفى المؤمّنة برجال الأمن؟ هو بالفعل أخذني من شعري إلى الخارج حتى يتسنى له فعل ذلك دون وجود شهود على جريمته، لكن ظهور (يامن) بعثر خطته وأنقذني من قبضته".

يشكُرها القاضي، ويأمر بدخول الشاهد الثاني، فيتقدم (سالم) الفتى البدين مبتور الكتف، يُقسم على قول الحقيقة، فيسأله القاضي قائلًا:

ـ "لقد قُلت في التحق يقات مُسبقًا إن الهاربين معك هم من قاموا ببتر ذراعك، هل تشرح ما حدث معك، ولماذا فعل الجاني هذا معك؟"

= "لا يا حضرة القاضي، لقد قُلت إن (هاني) هو من قام ببتر كتفي، أما (يامن) فقد حملني إلى المُستشفى، ولولاه لكُنت ميتاً الآن".

ـ "هل تُريد إضافة شيء آخر؟"

= "كُل ما أريد أن أقوله هو أن المُتهم الواقف في القفص قد أنقذني من الموت، وشكراَ لكم".

يأمر القاضي بدخول الشاهد الثالث، فيتقدم النقيب (فتحي الزناتي)، ويُقسم على قول الحقيقة، فيسأله القاضي قائلًا:

ـ "حضرة النقيب، هل اعترضت طريق المُتهم (يامن شريف) في الرابع عشر من أغسطس واعتدى عليك ولاذ بالفرار؟"

= "يومها كُنت مُكلفًا بإقامة دورية مسائية في هذه المنطقة، ووجدت المُتهم جالسًا في سيارة على جانب الطريق، اشتبهت فيه، وطلبت منه بطاقة هويته فأخبرني بوجود جريمة قتل تحدث الآن في المنزل المقابل، فشهرتُ سلاحي وقد تأكدت أن هناك أمراَ مُريباَ يُحاول التملص منه فاشتبك معي، وأخذ مني السلاح، وأسرع بقيادة سيارته فأسرعت خلفه

بالدراجة النارية، وعند مُفترق الطُرق ألقى السلاح على اليمين، واتجه هو إلى اليسار فذهبت خلف سلاحي، ثُم عُدت لمُطاردته، لكنه كان قد اختفى، ولم أستطع اللحاق به، واسمح لي يا سيادة القاضي أن أقول إنه نعم قد قاومني ولاذ بالفرار، لكنه كان من المُمكن أن يقتُلني حين أخذ مني السلاح ويهرب دون أن يعرف أحد ما حدث، لكنه لم يفعل".

يشكُره القاضي، ويذهب رفقة المُستشارين، ويعود بعد قليل لإصدار الحُكم قائلًا:

ـ "بعد الاطلاع على الأوراق، وسماع الشهود، حكمت المحكمة حضوريًا على المُتهم (يامن شريف عبد المنعم) بالسجن ستة أشهر وذلك لمُقاومة السُلطات، والتعدي على ضابط في أثناء تأدية عمله، كما تمت تبرئته من كافة التُهم الأخرى المنسوبة إليه، رُفعت الجلسة".

شعرت (ريم) بحُزن شديد لسماع ذلك، لكنها لم تُبدِ شيئًا، واقتربت منه للتخفيف عنه قائلة:

ـ "سأنتظرك يا (يامن)، سأنتظرك دائمًا".

قالتها واضعة يديها على القفص ليضع هو يديه مثلها ويُلامس يديها قائلًا:

ـ "لا تتغيبي أبدًا عن زيارتي، فأنا أعيش على رؤيتك".

= "سآتي إليك دائمًا يا حبيبي".

يبتسم لها ابتسامة طفل عادت إليه أمه من السفر، وقد رُدت إليه روحه بعد عناء، ولأول مرة في حياته يشعر بالأمان والسلام، يتحدث قائلًا:

ـ "لو مت الآن سأكون أسعد رجُل على الأرض بعد كلمة (حبيبي)".

القلب مُترنمًا ، والروح تبتسمُ، والبسمة مُستفيضة في جسم مُغرمٌ، للحب مُلهمٌ، للعشق يُترجمُ، ابتسمت له بخجلٍ على استحياء فبعثرت مشاعره في الأرجاء، خطّت على الأرض بقدميها في حياء بشيء من الكبرياء فوقع الأبرياء شُهداء، وسجد لحُسنها ملوكنا العظماء، في حُبها الكثير من الثراء، في بُعدها الشقاء، وفي قُربها الدواء، تخاصم في حُبها الشُعراء، وذمّ كُلٌّ منهم بعضهم في هجاء، شعرَها خيوطِ من الحرير ومثلُها لا يجوز لها إلا بالحرير كساء، شفتيها عسلٌ مُصفى في رحيقهما الشفاء، نهداها شامخان فيهما الحياة ولأجلهما خُلقت الأرض والسماء، فيهما نجمتان تفوح منهما رائحة المسك في ذكاء، كذَبَ من قال إن جميعهن في الظلام سواء، فأنتِ ربّ الأنوثة ولا شبيه لوردتكِ الحمراء، فرفقًا بقلب قتيلُكِ ياسيدة كُل النساء.

يضحكان بشدة مُتعانقا الأيدي عبر ثقوب القفص الحديدي، يذهب (يامن) مع أمين الشُرطة مُشيراً إليها بيَمناه فتُشير إليه مودعة إياه، وتذهب مع خالها و(رُفيدة) إلى إحدى الحدائق العامة، تجلس (ريم) على الأرض الخضراء بجانب خالها الجالس على مقعده المُتحرك، يتحدث الأخير قائلًا:

ـ "أخبريني إذا، ماذا ستفعلين مع (يامن)؟"

تتنهد (ريم) مُجيبة إياه قائلة:

ـ "سأفعل ما كان يجب عليّ فعله من البداية، كانت الرحلة طويلة وعصيبة، لكنني تعلمت منها الكثير، لقد أخطأت كثيراً، وكذلك (يامن)، وأخطاؤنا لم تقتصر على أذيتنا فقط بل أصابت من هم حولنا، وهذه

هي الحياة نُخطئ ونعتذر ونُسامح ونُحب ونتعلم، لا يوجد تعاسة دائمة ولا فرح دائم، فهذه الحياة لا تخلو من الدروس، تعلمتُ أن أحكّم عقلي في كُل شيء وخاصةً الحُب، تعلمتُ ألا أنساق وراء قلبي ورغباته، فحقًّا القلب حين يُحب يُصبح أعمى، يجب علينا اختيار من يُحبنا بقلبه وبأفعاله وليس فقط من نُحب، أما إذا اجتمع من يُحبنا في من نُحب فذلك هو الحظ العريض، أما إذا اضطررنا إلى الاختيار بين من يُحبنا ومن نُحب فعلينا اختيار من يُحبنا، وحتمًا بأفعاله المُحبه سيجعلنا مُتيمين به، وقد أدركتُ أخيراَ أن ملاذنا الآمن يكمُن في قلب من يُحبنا، وهذه هي الحقيقة المُطلقة".

لحظات من الصمت، ثُم تتحدث (ريم) سائلة:

ـ "خالي، أنت لم تُخبرني حتى الآن ما اكتشفته عن (آدم) يوم الحادثة؟"

= "أنصتِي لي جيدًا يا ابنتي، هنالك أشياء بين العبد وربه، أشياء لا تُحكى، وأنتِ الآن تسأليني سؤال من المُستحيل الإجابة عنه، دعينا ننسى هذه الأيام المريرة ونُخطط لزواجك من ذلك المُتيم بكِ بعد ستة أشهر".

عاهد (ياسر) نفسه على تربية الفتاة الصغيرة أفضل تربية ليكون لها ملاذًا آمنًا مملوءاَ بالحنان الأبوي، كما عاهد نفسه ألا يبوح بسر خائنته لأي أحد وذلك فقط ليصون عرض امرأة مُتوفاة كانت على ذمته ذات يوم ، ليجعل من ذلك الأمر برمته خبيئته مع الله.

تمت بحمد الله